مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية
GCC Centre for Translation, Arabisation and Promotion of Arabic

نشرة المركز

نشرة نصف سنوية - السنة الثالثة - العدد الخامس - يونيو ٢٠٢٦م

- اللُّغة والتَّرجمة وجهان متلازمان أمام النُّصوص والوثائق والموسوعات
- فَضاءُ حريَّةِ المترجمِ في ظلِ القيودِ المؤسَّسيَّة: بين الإبداعِ والانضباط
- العربيَّاتُ الجنوبيَّةُ في سلطنة عُمان... ذخيرةٌ ثقافيَّة

gcc-sg.org

CTAPA_GCC

مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية
GCC Centre for Translation, Arabisation and Promotion of Arabic

نشرة المركز
نشرة نصف سنوية - السنة الثالثة
العدد الخامس - يونيو ٢٠٢٦م

الإشراف العام

الأستاذ الدكتور عبدالله بن سيف التوبي
مدير مركز التَّرجمة والتَّعريب
والاهتمام باللُّغة العربيَّة

المتابعة الفنية

د. نبهان بن سيف اللمكي
خبير البرامج والمشاريع

أ. سمية بنت سليمان السليمانية
خبيرة اللغة العربية

أ. عهود بنت خميس المخينية
خبيرة التَّرجمة والتَّعريب

التنسيق والمتابعة

أ. يحيى بن ناصر البوصافي
رئيس قسم الرَّصد والنَّشر

أ.سليمان بن سيف المنعي
رئيس قسم التعاون والعلاقات العامة

للتواصل:

CTAPA@GCCSG.ORG | (+٩٦٨) ٢٤٩٦٨٨٥٩
@CTAPA_GCC | (+٩٦٨) ٢٤٦٧٥٥٠٠
ص.ب: ٥٣٩، الرمز البريدي: ١١٨، مسقط، سلطنة عُمان

المحتويات

٥
أَوَّلُ السَّطْر
الأستاذ الدكتور/
عبدالله بن سيف التوبي

٧
ملفُّ العَدَد
اللُّغة والتَّرجمة وجهان متلازمان أمام النصوص والوثائق والموسوعات
الشيخ المترجم محمد الحارثي
مؤسس ورئيس الهيئة الإدارية لاتحاد المترجمين العرب
سلطنة عمان

٢١
مُوجَزُ الأَخْبَار

٢٤
مَقَالُ العَدَد
فضاء حرية المترجم في ظل القيود المؤسَّسيَّة: بين الإبداع والانضباط
المترجمة: أصيلة بنت سعيد العدوي

٢٩
أروقة تنبض بالعربية
بيتُ الزُّبير
بيتُ التُّراث والثَّقافة والفنون ..
بيتُ الجميع

٣٥
مِسَاحَةُ إِبْدَاع
راضي النماصي
قصص قصيرة مترجمة
المملكة العربية السعودية

بسمة الخاطري
تأليف قصص الأطفال
سلطنة عمان

٤٢
ندوة اللغة العربية
اللُّغة العربيَّة حاضنةُ الإبداعِ والتَّنوع
اليوم العالمي للغة العربية ٢٠٢٥م
١٨ ديسمبر

أ.د. محمودِ بن عبدِ اللهِ المحمودِ
أ.د. عامر فائل محمد بلحاف
د. علي بن حمد الريامي
د. فوزية بنت سيف بن علي الفهدي

٨٩
تَرْجَمَات
ستٌّ وستون قاعدةً سهلةً لرواد الأعمال: خارطةُ طريقٍ لتحسين الأداء
تأليف: دين أ. شيبرد
هولجر باتزِلت
نيكولا برويجيست
ترجمة: د. فاطمة بنت خميس العلوية

٩٢
صَدَرَ حَدِيثًا

٩٦
بَرَامِجُ وَأَنْشِطَةٌ وَفَعَالِيات

٩٩
مَآبُ الكَلَام
سمية السليمانية
خبيرة اللغة العربيَّة

الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن سيف بن محمد التوبي
مدير مركز التَّرجمة والتَّعريب والاهتمام باللغةِ العربيَّة

الحمدُ للّٰه الذي علَّم بالقلم، وفتح للمعرفة أبوابها، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمدٍ أفصحِ العربِ لسانًا، وأعذبِهم بيانًا.

نُطلُّ عليكم اليومَ مع العددِ الخامسِ من نَشرةِ المركز، وخطواتُنا تمضي بثباتٍ في دربِ المعرفةِ والثقافةِ والترجمة، مؤمنين بأنَّ الكلمة الواعية قادرةٌ على أن تصنع أثرًا، وأنَّ اللغةَ ليست وسيلةَ تواصلٍ فحسب، بل وعاءُ حضارةٍ ومرآةُ هُوية.

وقد جاء هذا العددُ حاملاً باقةً من الموضوعات التي تتقاطع مع واقعِ اللغةِ العربيةِ ومستقبلِها، وتستشرفُ في الوقتِ ذاتهِ التحوُّلاتِ الثقافيةَ والمعرفيةَ التي يشهدها العالمُ اليوم. ففي ملفِّ العددِ نسلِّطُ الضوءَ على قضايا اللغةِ والهويةِ والإبداع، ونفتحُ نوافذَ للحوارِ حول أثرِ الترجمةِ والتقنياتِ الحديثةِ في صناعةِ المعرفةِ وتبادلِها.

ويضمُّ العددُ دراساتٍ وبحوثًا علميَّةً متنوِّعة، تناولت موضوعاتٍ تتصلُ بالترجمةِ، في محاولةٍ لقراءةِ المشهدِ المعرفيِّ قراءةً تجمعُ بين الأصالةِ والمعاصرة، وتمنحُ القارئَ مساحةً للتأمُّلِ والنقاش.

ولأنَّ الإبداعَ أحدُ وجوهِ الثقافةِ الحيَّة، فقد حرصنا في هذا العددِ على أن نُفسِحَ المجالَ لمواهبَ خَليجيةٍ شابَّةٍ في مجالاتٍ متنوِّعة، تُعبِّرُ عن حضورِ اللغةِ العربيةِ والتَّرجمة في الفنونِ والآدابِ والتعبيرِ الجمالي، وتؤكِّدُ أنَّ الثقافةَ لا تزدهرُ إلاَّ بتعدُّدِ أصواتِها وتنوُّعِ تجاربِها.

وفي إطارِ اهتمامِ المركزِ بمدِّ جسورِ التعاونِ الثقافيِّ والمعرفيِّ، نواصلُ التعرُّفَ إلى المبادراتِ والمؤسَّساتِ الفاعلةِ في المشهدِ الثقافيِّ الخليجيِّ والعربي، إيمانًا منَّا بأنَّ العملَ المشتركَ هو الطريقُ نحو حضورٍ ثقافيٍّ أكثرَ اتساعًا وتأثيرًا. ونُواصلُ في هذا العددِ تقديمَ مختاراتٍ من الإصداراتِ والترجماتِ والمقالاتِ النوعيَّة، التي تُثري المحتوى العربي، وتُسهمُ في تنشيطِ الحراكِ الفكريِّ والترجميِّ، وتُقرِّبُ القارئَ من قضايا اللغةِ.

ختامًا، نمضي بعزمٍ متجدِّد، واضعين اللغةَ العربيةَ في صميمِ رسالتِنا، ومؤمنين بأنَّ الترجمةَ استثمارٌ معرفيٌّ في بناءِ الإنسانِ والمستقبل. نسألُ اللّٰه أن يباركَ الجهود، وأن يجعلَ القادمَ أكثرَ إشراقًا وأثرًا.

اللُّغة والتَّرجمة

وجهان متلازمان أمام النصوص والوثائق والموسوعات

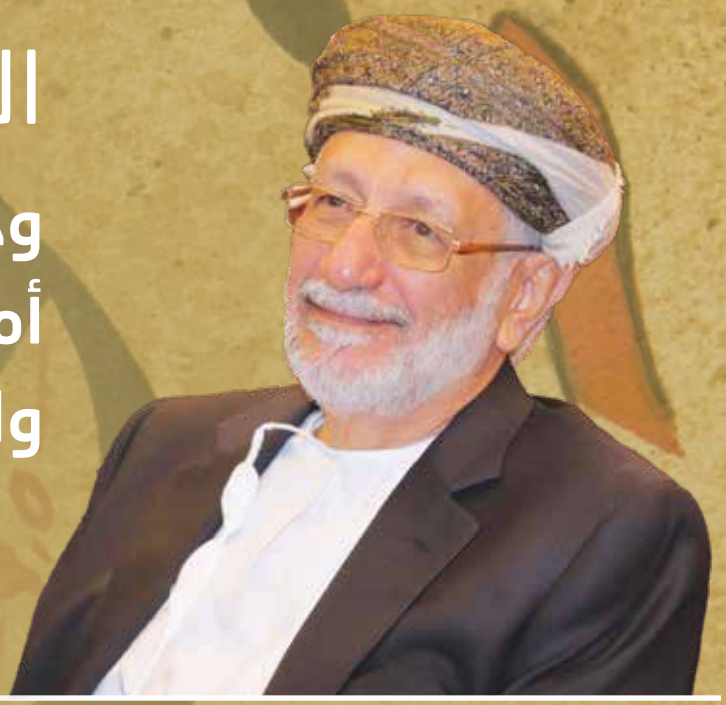

بقلم الشيخ المترجم
محمد بن عبد الله بن حمد الحارثي

خبير اقتصادي في الأمانة العامة لمجلس الوزراء،
وعضو مجلس الدولة سابقًا، عضو الهيئة الإدارية لمنتدى التنمية الخليجي،
مؤسس ورئيس الهيئة الإدارية لاتحاد المترجمين العرب- سلطنة عمان

إنَّ العلاقة بين الترجمة واللغة علاقة بنيوية تمسُّ كيفية إنتاج المعرفة نفسها؛ فاللغة العربية تمثل الإطار المرجعي الذي تُفهم من خلاله النصوص، بينما تأتي الترجمة لتوسِّع هذا الإطار عبر إدخال نصوص وخبرات من خارج الدائرة اللغوية العربية.

لكن الأهم من ذلك أن الترجمة لا تعمل في فراغٍ؛ فهي تعتمد على قوة اللغة، وكلما كانت اللغة قادرة على استيعاب المصطلحات وتوليد المفاهيم والتعبير بدقة، كانت الترجمة أكثر عمقًا ونجاحًا. أما إذا ضعفت اللغة، تحولت الترجمة إلى نقل حرفي مشوَّه، يفقد المعنى.

وتتجلى أهمية اللغة العربية أولاً بوصفها وعاء الهوية التاريخية والثقافية؛ فهي ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي الحامل الأساسي للذاكرة الجماعية. لذلك، فإن الحفاظ على العربية وتعزيز حضورها في البحث التاريخي، كتابةً وترجمةً، ليس مسألةً لغوية فقط، بل هو فعلٌ سياديٌّ معرفيٌّ، يحمي الهوية والتراث من التشويه أو الاختزال.

ومن خلال العمل على الموسوعات والوثائق، يتضح أن الترجمة ليست مجرد جسر بين لغتين، بل هي عملية تكامل معرفي بين رؤيتين، رؤية النص الأصلي، ورؤية القارئ العربي. وهنا يظهر دور العربية، ليس بوصفها لغة استقبال فقط، بل على أنها لغة قادرة على إعادة صياغة المعرفة ضمن سياقها التاريخي والثقافي الخاص.

لذلك، يمكن القول إن العلاقة بين الترجمة والعربية هي علاقة تكامل ديناميكي؛ فالنص الأصلي يغذِّي بالمفاهيم والمعارف، والعربية تمنح الترجمة العمق والدقة والقدرة على الاستيعاب وإنتاج المعرفة.

إنَّ ترجمة الوثائق لا تؤدي وظيفة نقل النص فحسب، بل تقوم كذلك بدور إعادة بناء السياق، وكشف الطبقات الخفية في الخطاب الاستعماري، ومقارنته بالسرديات المحلية. إنَّها أداة نقدية بقدر ما هي أداة نقل، تسمح بإعادة قراءة التاريخ من خلال تعدد زواياه. وبذلك كانت الترجمة جسرًا لا غنى عنه، خاصة في مشروعنا الذي يتعامل مع الأرشيف البريطاني وبعض الأعمال الغربية الأخرى.

ولا بد هنا من التنويه بخصوصية النصوص التي نقدمها في هذه الموسوعات؛ فهي تُقرأ في مستويين مختلفين: المستوى الأول هو الحوار بين رئيس ومرؤوس، الأول يستقي المعلومات الدقيقة من الآخر الذي يعيش في المنطقة ويراقب عن كثب كل ما يجري فيها وينقله إلى رئيسه. هذا المستوى إذن وثائقي، يقدم المعارف التي كوَّنها عن الواقع المعيش في هذه المنطقة العربية صاحبُ القرار البريطاني، أكان إداريًّا أم سياسيًّا. بناءً على هذه الوثائق، صدرت القرارات التي كان لها الأثر الأكبر في رسم خريطة المنطقة

إنَّ العلاقة بين الترجمة واللغة علاقة بنيوية تمسُّ كيفية إنتاج المعرفة نفسها؛ فاللغة العربية تمثل الإطار المرجعي الذي تُفهم من خلاله النصوص، بينما تأتي الترجمة لتوسِّع هذا الإطار عبر إدخال نصوص وخبرات من خارج الدائرة اللغوية العربية.

الجغرافية والسياسية والاجتماعية. أما المستوى الثاني، فيتعلق بالقارئ العربي للنصوص المترجمة التي نقدمها إليه. إنه قارئٌ لخطابٍ استعماري لا بد من أن يُؤدي لديه إلى تكوين خطاب نقدي وتحليلي مستقل. وليست الندوة التي عُقدت في مكتبة الإسكندرية بمصر بعنوان "المعرفة البريطانية" سوى نموذج لما يجب أن تخضع له كل ترجمات المعارف العالمية من تحقيق ونقد وتحليل وإعادة بناء وتفكير. وهذا ما نعنيه عندما قلنا إننا نعد ترجماتنا أداة نقدية تتيح إعادة قراءة التاريخ.

ومن خلال العمل على هذه الموسوعات، يتضح أن العلاقة بين العربية والترجمة ليست علاقة تكاملية؛ فاللغة العربية تمنحنا المرجعية، بينما تفتح الترجمة الأفق وتوسع مجال الرؤية. لذلك، يمكن القول إن المشروع الحقيقي ليس في الترجمة وحدها، ولا في اللغة وحدها، بل في القدرة على الجمع بينهما وبأن نقرأ بلغتنا، ونترجم عن غيرنا، ثم نعيد إنتاج المعرفة بكتابة تاريخ متوازن، يستند إلى تعددية المصادر، مع الحفاظ غلى بوصلته الثقافية.

إنَّ المترجم الناجح لا ينبغي أن يكون مجرد ناقل كلمات، بل هو وسيط معرفي وثقافي يمتلك مجموعة متكاملة من المهارات، خاصة القدرة على فهم اللغتين معًا، ليس على المستوى اللغوي فقط، بل على مستوى السياق والتاريخ والثقافة؛ فالكلمات لا تُفهم بمعزل عن سياقين اثنين: السياق اللغوي المباشر الذي يحدد معنى الكلمة التي توجد فيه ويوجه دلالتها، والسياق الأوسع الذي يشمل تاريخ الحقبة التي استعملت فيها هذه الكلمة في داخل هذا النص. لذلك على المترجم أن يكون مُلِمًّا بحذافير اللغة التي يُترجم منها وأن يُدرك الإطار الزمني الذي وُضع فيه النص الذي يترجمه. باختصار، عليه أن يكون متبحِّرًا في لغة النص وبما وراء النص.

يمكن القول إن العلاقة بين الترجمة والعربية هي علاقة تكامل ديناميكي؛ فالنص الأصلي يغذّي بالمفاهيم والمعارف، والعربية تمنح الترجمة العمق والدقة والقدرة على الاستيعاب وإنتاج المعرفة.

وتعدُّ الدقة العلمية من أهم الصفات، خاصة عند التعامل مع الوثائق التاريخية؛ فالمترجم الناجح لا يتساهل مع المصطلحات، ولا يعيد صياغتها وفق انطباع شخصي، بل يلتزم بأمانة النقل، مع ضرورة فهم تحيزات النص الأصلي دون أن يفرضها على القارئ.

ومن الصفات الجوهرية أيضًا امتلاك الحس النقدي. إذ أن كثيرًا من النصوص، خصوصًا في الأرشيفات الاستعمارية، تحمل رؤى غير محايدة. وهنا لا يكون دور المترجم التبرير أو التبنِّي، بل يكون الفهم والتحليل، بحيث ينقل النص كما هو، وفي الوقت نفسه يكون واعيًا بكلِّ خلفياته.

ولا يقل أهمية عن ذلك إتقان الكتابة بالعربية نفسها. فضعف الصياغة العربية في النص النهائي قد يفسد أفضل الترجمات، بينما المترجم المتمكن يستطيع أن ينتج نصًّا دقيقًا ومقروءًا، يحافظ على روح الأصل دون أن يبدو غريبًا أو متكلِّفًا.

وأخيرًا، فيما يتعلق بطبيعة العمل، لا بد من الصبر والمنهجية؛ فالترجمة الجادة، خصوصًا في المشاريع الموسوعية، عمل تراكمي يحتاج إلى انضباط طويل النفس، وقدرة على التحقق والمراجعة المستمرة.

ويمكن القول إن المترجم الناجح هو ذلك الذي يجمع بين الأمانة والدقة والوعي النقدي والتمكُّن باللغتين، ليحوِّل النص من لغةٍ إلى أخرى من دون أن يفقد معناه أو سياقه.

إنَّ اختيار المجال في الترجمة ليس قرارًا عشوائيًّا، بل هو عمليةٌ تتقاطع فيها المعرفة والاهتمام والخبرة. فالمترجم غالبًا ما يبدأ من منطقة اهتمامه المعرفي، ذلك بأن الشغف بالمجال يسهِّل التعمق فيه وفهم مصطلحاته وسياقاته الدقيقة.

لكن الشغف وحده لا يكفي، إذ ينبغي أن يُبنى الاختيار على أساس التخصص التدريجي. فبعض المجالات – كالتاريخ أو القانون أو الاقتصاد – تتطلب معرفة تراكمية، ولا يمكن التعامل معها بسطحية. لذلك، يميل المترجم المتمرس إلى تضييق نطاق عمله مع الوقت، حتى يصل إلى درجةٍ من التخصص تُمكِّنه من تقديم ترجمة دقيقة وموثوقة.

وتلعب طبيعة المصادر دورًا مهمًّا في هذا الاختيار. فالتعامل مع أرشيفات تاريخية، مثلًا، يحتاج إلى القدرة على قراءة النصوص القديمة، وفهم المصطلحات في سياقها الزمني، وليس وفق معناها المعاصر فقط. وهذا ما يجعل بعض المترجمين يتجهون إلى مجالات بعينها تتناسب مع مهاراتهم البحثية والتحليلية.

وبالتالي، نجد أن اختيار المجال هو مزيج من الشغف والتخصص والخبرة وإدراك القيمة المعرفية لما يُترجم. وكلما كان الاختيار واعيًا، انعكس ذلك على جودة الترجمة وعمقها.

وأمَّا عن المنهجية المتبعة في الترجمة التي أؤمن بها فتتجلى في ضرورة التوازن بين الأمانة للنص الأصلي والوعي بالسياق العربي. ولا يمكن النظر إلى الترجمة بعَدِّها مجرد نقل حرفي، بل هي عملية تسعى إلى نقل النص المترجم مع الحفاظ على روحه وسياقه التاريخي والثقافي.

إن المشروع الحقيقي ليس في الترجمة وحدها، ولا في اللغة وحدها، بل في القدرة على الجمع بينهما وبأن نقرأ بلغتنا، ونترجم عن غيرنا، ثم نعيد إنتاج المعرفة بكتابة تاريخ متوازن، يستند إلى تعددية المصادر، مع الحفاظ غلى بوصلته الثقافية.

وتبدأ هذه المنهجية بمرحلة القراءة التحليلية للنص قبل ترجمته، حيث تُفهَم بنية النص، والمرجعية التي كُتِبَ فيها لأنها تحدد طريقة التعامل مع المصطلحات والأسلوب.

ثم تأتي مرحلة الترجمة الأولية، مع الالتزام بالدقة في نقل المصطلحات، خاصة في النصوص التاريخية. وهنا من الضروري عدم إسقاط المعاني المعاصرة على نصوص قديمة، بل فهم المصطلح في سياقه الزمني كما ورد في الأصل.

بعد ذلك، تأتي مرحلة المراجعة، وهي من أهم المراحل. لا تقتصر على تصحيح اللغة، بل تشمل إعادة قراءة النص المترجم مقارنة بالأصل، للتأكد من أنه لم يفقد دلالاته أو ينحرف عن مقصده.

وأخيرًا، مرحلة الصياغة العربية، حيث يُعاد تشكيل النص ليكون واضحًا وسلسًا للقارئ العربي، دون الإخلال بالأمانة العلمية. فالنص الجيد هو الذي يقرأ وكأنه كُتب بالعربية، لكنه في الوقت نفسه يظل وفيًا للأصل.

باختصار نحن نتبع المنهجية التي درجت عليها المنظمة العربية للترجمة منذ تأسيسها في العام ١٩٩٩، وتتلخص في المراحل التالية: اختيار النص ثم ترجمته ثم مراجعة الترجمة ثم تصويب صياغة النص العربي ثم التوثيق في ملاحق تتضمن فهارس المفاهيم وأسماء العلم وغير ذلك. إلا أننا أضفنا عملاً آخر في ترجماتنا للأرشيف البريطاني. فالمنظمة تترجم كتبًا في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والكتاب يبدأ بالصفحة الأولى وينتهي بالصفحة

الأخيرة منه. أما الوثائق البريطانية، فهي كمٌّ هائل من الصفحات المتتالية ولا تتبع نظامًا سوى التسلسل الزمني. لذلك، كان لا بد علينا أن نضيف مرحلة أخرى من مراحل العمل الترجمي، وهي الانتقاء ثم التصنيف ثم التبويب.

وجديرٌ بالذكر أنَّ الفرق بين ترجمة الكتب والمقالات والأرشيف السياسي يكمن أساسًا في طبيعة النص ووظيفته ودرجة الحساسية المرتبطة به.

تعلِّم الترجمة التواضع المعرفي. فكل نص جديد يفتح بابًا لمجال أو مصطلح أو سياق لم يكن المترجم يعرفه من قبل، مما يجعله في حالة تعلم مستمر.

تتطلب ترجمة الكتب، خاصة الأكاديمية أو التاريخية منها، من المترجم أن يتعامل مع بنية متكاملة، ومفاهيم ممتدة عبر فصول متعددة، مع ضرورة الحفاظ على الاتساق المصطلحي والأسلوبي من بداية الكتاب إلى نهايته، وفهم لموضوع الكتاب كله، وليس فقط لكل فقرة على حدة.

أما المقالات، غالبًا ما تكون مرتبطة بسياق محدد أو فكرة واحدة. لذلك، تتطلب سرعة في الالتقاط ودقة في نقل الفكرة المركزية، مع مرونة أكبر في الأسلوب بدون إطالة.

في المقابل، تأتي ترجمة مواد الأرشيفات بوصفها الأكثر حساسية وتعقيدًا؛ فهي لا تتعامل فقط مع نصوص، بل مع وثائق تحمل مواقف وتحيزات وأحيانًا رسائل ضمنية. هنا يصبح دور المترجم أقرب إلى الباحث، إذ يجب عليه فهم السياق التاريخي والسياسي الدقيق والانتباه لكل كلمة؛ لأن أي تغيير مهما كان بسيطًا قد يؤدي إلى تفسير مختلف للوثيقة.

ويتطلب الأرشيف السياسي درجة عالية من الأمانة الحرفية مقارنة بغيره، لأن النص يُستخدم بوصفه مصدرًا تاريخيًا، وليس فقط على أنه مادة للقراءة. في حين أن ترجمة الكتب والمقالات تسمح بهامش أكبر نسبيًا في الصياغة، طالما لم يُمس المعنى.

ويعتمد المترجم في عمله على مجموعة من الأدوات التي تتكامل فيما بينها، ولا تقتصر على القواميس فقط كما قد يُتصوَّر. في مقدمة هذه الأدوات إذن تأتي القواميس، سواء أكانت قواميس لغوية عامة أم قواميس متخصصة ترتبط بمجال معين. ذلك بأنها تساعد في التحرِّي عن المعنى الدقيق للمصطلحات، خاصة في النصوص العلمية أو التاريخية.

إلى جانب ذلك، تُعدُّ المراجع والسياقات الأصلية من أهم الأدوات، خصوصًا في ترجمة الأرشيف والوثائق. فالمترجم لا يكتفي بالكلمة ومقابلاتها، بل يعود إلى النصوص الموازية، والوثائق المرتبطة بموضوع ترجماته، لفهم المصطلح ضمن بيئته الزمنية والسياسية.

وقد أصبحت الأدوات الرقمية تقوم بدورٍ مهمٍّ، مثل قواعد البيانات والمكتبات الرقمية وبرامج إدارة المصطلحات، التي تساعد في توحيد الاستخدام عبر المشاريع الكبيرة، خاصة في الأعمال الموسوعية. وهذه الأدوات لا تُغني عن الفهم، لكنها تُعزِّز الدقة وتوفِّر الوقت.

ولا يمكن إغفال دور الخبرة التراكمية للمترجم نفسه، فهي أداة غير مرئية لكنها أساسية. إذ تمكِّنه من التمييز بين المعاني واختيار الأنسب وتجنُّب الأخطاء الشائعة.

وهناك مجموعة من الأخطاء التي قد يقع فيها المترجم، وغالبًا ما ترتبط بغياب الفهم العميق للنص أو التسرُّع في النقل.

في مقدمة هذه الأخطاء ثمَّة الترجمة الحرفية الجامدة، حيث تُنقَل الكلمات دون استيعاب المعنى أو السياق، مما يؤدي إلى نص عربي ضعيف أو مشوَّه؛ فالكلمة قد تحمل أكثر من معنى، ولا يمكن اختيار الصحيح منها إلا من خلال فهم السياق العام.

ومن الأخطاء أيضًا إسقاط المعاني المعاصرة على نصوص قديمة، خاصة في الوثائق التاريخية. فالمصطلح في القرن التاسع عشر مثلاً لا يُفهم بالضرورة بنفس دلالته اليوم، وأي خلط في هذا الجانب يؤدي إلى قراءة غير دقيقة للتاريخ.

ويقع بعض المترجمين في خطأ إهمال المصطلح أو عدم توحيده، خصوصًا في الأعمال الكبيرة، مما يخلق اضطرابًا في النص ويضعف قيمته العلمية. الاتساق المصطلحي هنا ليس تفصيلاً، بل هو عنصر أساسي في جودة الترجمة.

وهناك كذلك ضعف الصياغة العربية، وهو خطأ شائع رغم دقة الترجمة من حيث المعنى. فالنص قد يكون صحيحًا، لكنه غير مقروء أو ركيك، مما يفقده تأثيره ويقلل من قيمته. ومن الأخطاء المهمة أيضًا عدم الانتباه إلى تحيزات النص الأصلي، خاصة في الأرشيفات السياسية. فالمترجم بحاجة إلى أن يكون حذرًا بحيث ينقل النص كما هو من دون وعي بمرجعيته، أو أنه يتدخَّل في محاولة منه لتصحيح النص بدل الاهتمام بنقله.

ومن الضروري عدم التسرُّع، وإعادة قراءة النص المترجم ومراجعته. إذ إن كثيرًا من الأخطاء لا تظهر في الترجمة الأولى، بل تحتاج إلى قراءة ثانية وثالثة لاكتشافها. ويفضل أن يقوم ببعضها شخص أخر، لأنه يصعب على المترجم الأول أحيانًا أن يلاحظ بعض الأخطاء التي يرتكبها.

إنَّ الممارسة والخبرة تُعلِّم صاحبها جملة من الدروس التي تتجاوز حدود اللغة نفسها. في مقدمة هذه الدروس أنَّ الفهم لا بد من أن يسبق التعبير؛ فالمترجم يدرك مع الوقت أن أي محاولة لصياغة نص جيد تبدأ أولاً بفهم عميق للنص الأصلي، لا بمجرد البحث عن مقابلات لغوية. وتعلِّم الترجمة الصبر والانضباط؛ فهي عملٌ تراكميٌّ لا يقبل الاستعجال، وكل جملة تحتاج إلى مراجعة وتدقيق. ومع الوقت، يكتسب المترجم حسًّا منهجيًّا يجعله أكثر دقة في التفكير، وأكثر قدرة على التعامل مع التفاصيل.

ومن أهم الدروس أيضًا الوعي بتعدد وجهات النظر؛ فالتعامل مع نصوص من ثقافات مختلفة، خاصة في الأرشيفات التاريخية والسياسية، يكشف أنَّ الحقيقة ليست دائمًا أحادية، وأن النصوص تحمل مرجعياتها وسياقاتها، وهو ما يعزِّزُ لدى المترجم التفكير النقدي.

كذلك، تعلِّم الترجمة التواضع المعرفي. فكل نص جديد يفتح بابًا لمجال أو مصطلح أو سياق لم يكن المترجم يعرفه من قبل، مما يجعله في حالة تعلم مستمر. في الوقت ذاته، يمكن للترجمة أن تُنمِّي حس المسؤولية؛ لأن ما ينقله المترجم قد يُبنى عليه فهمٌ أو حكمٌ أو حتى إعادة كتابة التاريخ.

ومن الممكن الاستفادة من تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الترجمة إلى حدٍّ معين، خاصة في تسريع العمل وتقديم مسودات أولية، لكنها لا يمكن بتاتًا أن تكون بديلاً كاملاً عن المترجم البشري، خصوصًا في النصوص المتخصصة أو التاريخية.

من الملاحظ أن الذكاء الاصطناعي في السنوات الأخيرة أصبح يمتاز بالسرعة والقدرة على معالجة كميات كبيرة من النصوص، وهو مفيد في فهم المعنى العام أو في الأعمال ذات الطابع الروتيني أو في تقديم المقابلات اللغوية للمفردة الأجنبية الواحدة. لكنه، في المقابل، يفتقر إلى الوعي بالسياق العميق، ولا يستطيع دائمًا التمييز بين الدلالات الدقيقة للمصطلحات، أو إدراك المرجعيات الثقافية والسياسية للنصوص.

وما يزال دور المترجم، في الوقت الحاضر، بارزًا بوصفه عنصرًا حاسمًا، لا يمكن الاستغناء عنه. فالمترجم هو من يُراجع ويُصحح ويعيد ترجمة النص أحيانًا، ويضبط المعنى، وهو الذي يضمن أنَّ النص النهائي دقيق ومتسق ومناسب للسياق. بذلك، في كثير من الأحيان، لا تكون مهمة المترجم هي الترجمة من الصفر، بل تحرير الترجمة الآلية وإعادة صياغتها علميًّا ومنهجيًّا.

وفي المشاريع الوثائقية، مثل ترجمة الأرشيف السياسي، يصبح الاعتماد الكامل على الذكاء الاصطناعي أمرًا محفوفًا بالمخاطر. لأنَّ أي خطأ، مهما كان بسيطًا، قد يؤدي إلى تفسير تاريخي غير دقيق.

وحتى إشعار آخر، لا يُمكن النظر إلى الذكاء الاصطناعي إلا بوصفه أداة مساعدة، لا بديلة. فهو يختصر الوقت ويُسهم في رفع الإنتاجية، وتبقى القيمة الحقيقية في يد المترجم، الذي يمتلك الفهم والحسَّ النقديَّ والقدرة على اتخاذ القرار.

ولضمان أن تكون الترجمة واضحة تُؤدِّي غرضها، لا بد من مراعاة مجموعة من الاحترازات المنهجية التي تحكم عملية النقل من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف. في مقدمة هذه الاحترازات الفهم الجيد للنص قبل الشروع في ترجمته. إذ إن أيَّ خللٍ في الفهم ينعكس مباشرة على جودة الترجمة. لا يكفي فهم الكلمات، بل يجب استيعاب السياق العام وطبيعة النص والبيئة التي كُتب فيها.

وينبغي الحذر من الترجمة الحرفية، خاصة في التراكيب التي لا تنتقل كما هي بين اللغات. فالنقاء في الترجمة لا يعني الالتصاق الحرفي بالنص، بل يعني نقل المعنى بدقة من دون تشويه أو إسقاط.

ومن الاحترازات المهمة أيضًا ضبط المصطلحات وتوحيدها، خصوصًا في النصوص المتخصصة. فعدم الاتساق المصطلحي يُضعف النص ويخلق لبسًا لدى القارئ.

كذلك، يجب الانتباه إلى الفروق الثقافية والدلالية بين اللغتين، فبعض الكلمات أو التعبيرات تحمل حمولة ثقافية لا تظهر في الترجمة المباشرة، مما يتطلب وعيًا في اختيار المقابل المناسب.

ولا تقل أهمية عن ذلك مراجعة الترجمة أكثر من مرة، مقارنة بالأصل، للتأكد من سلامة المعنى وخلو النص من الأخطاء.

وأخيرًا، إتقان الصياغة في اللغة الهدف؛ فالنص المترجم يجب أن يكون واضحًا وسلسًا، وكأنه كُتب أصلاً بهذه اللغة، من دون أن يفقد أمانته للنص الأصلي.

ومن المهم قراءة واقع الترجمة في عُمان ودول مجلس التعاون التي تكشف عن مشهد مركَّب يجمع بين فرص كبيرة وتحديات حقيقية. فقطاع الترجمة لا يزال في بداياته وهو يواجه الكثير من التحديات. من أبرزها الخلل بين العرض والطلب؛ حيث الملاحظ محدودية الطلب المؤسسي لأعمال الترجمة إلا في سياق محدود يتَّصل بمتطلبات العمل الروتيني وبحيث لا يكلف المؤسسات سوى مبالغ زهيدة مقابل نقص التخصص الدقيق في بعض المجالات، مثل الترجمة القانونية والسياسية، مع غياب الأطر التنظيمية والمهنية المتكاملة التي تضمن جودة العمل، ومحدودية المؤسسات المتخصصة في تقييم جودة الترجمة بشكل منهجي. ولا تزال مسألة التأهيل الأكاديمي والتدريب المستمر في طور التطور، رغم وجود

برامج جامعية بدأت تعالج هذه الفجوة.

ويمكن القول إن الترجمة في عُمان ودول الخليج اليوم ما زالت تقف عند مرحلة انتقالية من كونها خدمة مساندة، إلى كونها أداة إستراتيجية في بناء المعرفة، وصياغة العلاقات الدولية، وقراءة التاريخ والواقع. ومشروع ترجمة الأرشيف البريطاني الضخم الذي نضطلعُ به يدخل في إطار الهدف الذي نعمل من أجله وهو: العمل الحثيث على أن تكون سلطنة عمان ومجلس التعاون الخليجي مركزًا رائدًا في مجال إنتاج المعرفة باللغة العربية عبر الترجمة إليها، وكذلك - وعلى وجه الخصوص - عبر نقد النصوص المترجمة وتدبر مضامينها وتفعيل التفكير في أبعادها وتحليل تراكيبها.

وفي سياق النهوض بقطاع الترجمة في دول المجلس، نرى أنَّه من الضروري إدراك أنَّ الترجمة أصبحت أداة إستراتيجية في إنتاج المعرفة وصياغة الحضور الثقافي في العالم، وأنَّ أول ما يحتاجه المترجم اليوم هو الانتقال من العمومية إلى التخصص. فالعالم لم يعد يحتمل المترجم الشامل بقدر ما يحتاج إلى مترجم متمكن في مجال محدد - سواء أكان تاريخيًّا أم قانونيًّا أم سياسيًّا - يمتلك أدواته المعرفية إلى جانب أدواته اللغوية.

لذلك فإن الاستثمار في بناء منهجية عمل واضحة في مجلس التعاون الخليجي قد أصبح ضرورة، وليس خيارًا. لا تقوم الترجمة الجيدة على الجهد الفردي فقط، بل على نظام من القراءة والتوثيق والمراجعة وتوحيد المصطلحات، خاصة في المشاريع الكبيرة التي تمسُّ الذاكرة التاريخية للمنطقة.

ومن المهم أيضًا تعزيز الوعي بدور الترجمة في كتابة التاريخ الذاتي. فالكثير مما كُتب عن المنطقة جاء من خارجها، وهنا تبرز مسؤولية المترجم الخليجي في إعادة قراءة هذه النصوص ونقلها بوعي نقدي والمساهمة في إنتاج معرفة متوازنة لا تكتفي بالنقل، بل تُسهم في الفهم.

ولا يقل أهمية عن ذلك الانفتاح على التقنيات الحديثة، بما فيها أدوات الذكاء الاصطناعي، ولكن بوصفها أدوات مساعدة لا بديلاً عن العقل البشري، كما قلنا. فالمستقبل سيكون لمن يجمع بين الكفاءة اللغوية والقدرة التقنية.

إنَّ النهوض الحقيقي بقطاع الترجمة يحتاج إلى عملٍ مؤسسي موازٍ لجهود الأفراد، وهو يتمثل في إنشاء مراكز ترجمة متخصصة، ووضع برامج تدريب مستمرة، ومعايير جودة واضحة، ترفع من مستوى المهنة وتمنحها مكانتها التي تستحقها، وذلك مقابل السوق الذي يحتاج إلى مثل تلك الخدمات ويطلبها.

هناك جوانب مهمة من عالم الترجمة، من المهارة والمنهج إلى الواقع والتحديات، نفتح بهذا الفهم أفقًا لسؤال أعمق يمكن إضافته، يتمثل فيما هو الدور المطلوب من الترجمة في إعادة كتابة تاريخنا وفهم ذواتنا؟

فإذا كانت المنظمة العربية للترجمة قد حولت عملية الترجمة من هواية فردية إلى صناعة لها مستوياتها وقواعدها الصارمة ومراحل محددة في تنفيذها، فإننا في مشروعنا الحالي نذهب إلى أبعد من ذلك. نحن نريد تحويل عملية الترجمة في العالم العربي من مستوى المهنة إلى مستوى المشروع الحضاري الذي يشمل بناء الإنسان وتكوين المعرفة وتأسيس منهج للتفكير والتحليل.

أما في سياق عُمان ودول الخليج، فإن الترجمة تكتسب أهمية مضاعفة، لأنها تتعامل مع تاريخٍ كُتب جزء كبير منه في الخارج، وهنا تصبح مسؤولية المترجم أكبر وينبغي عليه أن يفهم وينقل دون أن يفقد الأمانة أو الاستقلال.

مُوجَزُ الأَخْبَار

١٢ يناير٢٠٢٦م

إصدار ونشر كتاب مُترجم من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية بعنوان "ستٌ وستون قاعدةً سهلةً لرواد الأعمال".

٢٩يناير٢٠٢٦م

المشاركة في مؤتمر اللغة العربية الدولي الثامن والذي نظمه المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالشارقة.

١ فبراير ٢٠٢٦م

توقيع مذكرة تفاهم بين الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ممثلة بمركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية و مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية.

٩ فبراير٢٠٢٦م

محاضرة بعنوان نظرية الصفر اللغوي بين اللسانيات والذكاء الاصطناعي.

١١فبراير٢٠٢٦م

تأليف كتاب بعنوان شعر الإخوانيات في شبه الجزيرة العربية من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري.

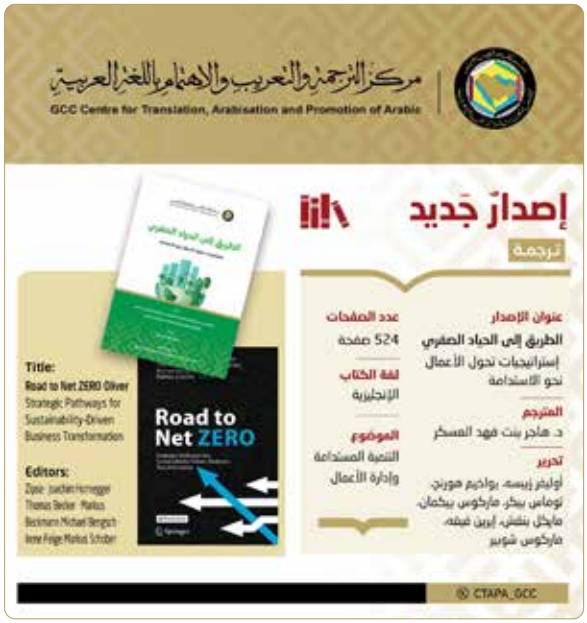

٩مارس٢٠٢٦م

إصدار ونشر كتاب مُترجم من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية بعنوان "الطريق إلى الحياد الصفري".

١٦ فبراير ٢٠٢٦م

محاضرة بعنوان الترجمةُ بوصفها حياةً أُخرى للنَصّ: قراءة في تحوُّلات المعَنى عبر اللغات.

٢إبريل٢٠٢٦م

المشاركة في ندوة المعرفة البريطانية في تاريخ عُمان والمشرق العربي بالإسكندرية.

٢٨إبريل٢٠٢٦م

حلقة نقاشية بعنوان المسرح الخليجي واللغة العربية.

٢٩إبريل٢٠٢٦م

حلقة نقاشية بعنوان الترجمة المهنية والتكوين الأكاديمي للمترجم.

إطلاق عدد من الوسوم التي تُعنَى بالاهتمام باللغة العربية والترجمة والتعريب في حساب المركز بمنصة "أكس"، وهذه الوسوم هي:

- وسم "#قمرة_من_حروف".
- وسم "#مصطلحات_ترجمية".
- وسم "#قراءة_في_إصدارات_المركز".

كتابة:
أصيلة بنت سعيد العدوي

فضاء حرية المترجم في ظل القيود المؤسَّسيَّة: بين الإبداع والانضباط

تُعد الترجمة من أعرق الأنشطة الإنسانيَّة التي أسهمت في نقل المعارف وتلاقح الثقافات. وهي - في جوهرها - فعل إبداعيٌّ لا يقتصر فقط على استبدال ألفاظ بأخرى، بل يتجاوز ذلك إلى إعادة إنتاج المعنى ضمن سياق لغوي وثقافي جديد. غير أن هذا النشاط الإبداعي لا يُمارس بمعزل عن المحيط الذي يحدِّد سياقاته وظروفه، بل يتشكَّل ضمن أطر مؤسَّسيَّة تفرض على المترجم جملة من القيود المهنية والإجرائية، بل وأحيانا الإيديولوجية. ومن هنا تنشأ إشكاليَّة "فضاء حرية المترجم"، بمعنى أنه إلى أي حدٍّ يستطيع المترجم أن يحافظ على استقلاليَّته الإبداعيَّة في ظل هذه القيود؟ وهل تمثِّل المؤسسة عائقًا أم إطارًا تنظيميًّا ضروريًّا لضمان جودة الترجمة واتِّساقها؟ فمن هنا، يجد المترجم نفسه - وهو ساعٍ إلى تحقيق التوازن بين الأمانة للنص المصدر والملاءمة للغة الهدف - في مواجهة منظومةً من الضوابط التي قد تحدُّ من قدرته على الإبداع أو تعيد توجيه خياراته اللغوية والأسلوبيَّة.

ولا يمكن النظر إلى حرية المترجم بوصفها مفهومًا مطلقًا أو غير مشروط، بل هي حرية نسبية تتحد وفق طبيعة النص ووظيفته والسياق التي يُنتج فيه. فالنصوص الأدبية تتيح للمترجم هامشًا أوسع من الاجتهاد؛ إذ يُنتظر منه أن ينقل الإيحاءات الجمالية والحمولات الثقافية، لا أن يلتزم حرفية جامدة قد تُفرغ النص من روحه وتُفقده ملامحه. أما النصوص التقنية أو القانونيَّة، فإنها تخضع إلى متطلَّبات محدَّدة من الدقة والاتساق المصطلحي، مما يضيِّق مساحة التصرُّف الفردي ويجعل من الالتزام معيارًا أساسيًّا للتقييم. وفي هذا الإطار، تتجلى حريَّة المترجم في قدرته على اتخاذ قرارات تأويلية دقيقة، وفي اختياره للأساليب التي تضمن نقل المعنى بوضوح دون الإخلال بخصوصيَّة اللغة الهدف. وليس ثمَّة شك - وفقًا لما يسود في السياقات المؤسَّسية - أن هذه الحريَّة تصطدم بأنماط متعددة من القيود التي تتفاوت في شدِّتها وتأثيرها. أولاً، هناك القيود الإجرائية التي تفرضها طبيعة العمل المنظم مثل الالتزام بمواعيد التسليم المحدَّدة، والاستعانة بأدوات ترجمة معيَّنة دون التجرُّد من قواعد الاستخدام الأخلاقيَّة، واتِّباع أدلَّة أسلوبيَّة معتمدة. وبالرغم من أن هذه القيود تهدف إلى تحقيق الكفاءة وضمان جودة العمل، فإنها قد تدفع المترجم إلى اعتماد حلول سريعة أو نمطيَّة على حساب العمق والدقة الأسلوبية. ثانيًا، تأتي القيود المصطلحيَّة التي تفرضها بعض المؤسسات والجهات حيث الترجمة تشكِّل جزءا لا يتجزَّأ من عملياتها، وتتجلى هذه القيود من خلال القوائم الإلزاميَّة التي تهدف إلى توحيد الخطاب، لاسيما في المجالات المتخصَّصة. حتى وإن كان توحيد الألفاظ والمصطلحات أمرا ضروريًّا يكفل صياغةً متَّسقةً وموحَّدة بما ينسجم وتوقعات المؤسسة وضوابطها اللغوية عموما والترجمية خصوصًا، فإنه من المحتمل أن يحرم المترجم من البحث عن بدائل أكثر سلاسة أو توافقًا مع السياق الثقافي للغة الهدف. ثالثًا، تعدُّ القيود الإيديولوجية والثقافية الأكثر تعقيدًا في طبيعتها؛ إذ قد تقود المؤسسة إلى التدخُّل في توجيه المحتوى أو تعديله بما يتماشى مع سياساتها أو معاييرها، مما يضع المترجم أمام معضلة أخلاقيَّة تتعلَّق بحدود أمانته للنص المصدر. وإذا ما أردنا مقاربةُ القيود التي تحدد إطار الممارسة الترجمية - إجرائيةً كانت أم مصطلحيةً أم إيديولوجيةً وثقافية - في نطاق تحليليٍّ منسجم، فإن الإشارة إلى التصوُّر السوسيولوجي الذي بلوره بيير بورديو (Pierre Bourdieu) تتيح بناء قراءة أكثر تركيبًا واتساقًا. فهذه القيود لا يُشار إليها بوصفها عناصر منفصلة، بل بعَدِّها أشكالاً لبُنى الحقل (Field) الذي تنتظم داخله الترجمة، بما ينطوي عليه من قواعد تنظيمية ومعايير مؤسِّسيَّة تحدِّد شروط الإنتاج وحدود المقبول في عملية الترجمة. وعليه، يمكن النظر إلى القيود الإجرائية بوصفها آلياتٍ مؤسسيةً للضبط

ولا يمكن النظر إلى حرية المترجم بوصفها مفهومًا مطلقًا أو غير مشروط، بل هي حرية نسبية تتحد وفق طبيعة النص ووظيفته والسياق التي يُنتج فيه.

والتقنين، في حين تعبِّر القيود المصطلحية عن هيمنة عامل الرأسمال اللغويِّ الذي يسعى إلى توحيد الخطاب وإحكام اتساقه. أمَّا القيود الإيديولوجية والثقافية، فتتجلَّى بوصفها امتدادًا لما يُصطلح عليه بالدوكسا "Doxa"، أي جملة المسلَّمات الضمنية التي تؤطِّر الخطاب وتوجِّه آلياته. وفي خضمِّ هذا النسق، يتحرَّك المترجم بعدِّه فاعلاً اجتماعيًّا يتمتَّع بمقوِّمات الهابيتوس (Habitus) المهنيَّة التي تتشكَّل عبر التطوير والخبرة، بحيث يُعيد إنتاج هذه البُنى أو يفاوضها ضمن حدود ما يتيحه الحقل من إمكانات. لذا، فإن تحليل العلاقة بين حرية المترجم وهذه الأنماط من القيود يقتضي مقاربتها ضمن هذا الأفق النظري، حيث تغدو الترجمة ممارسةً اجتماعيةً محكومةً بجدلية الإبداع والانضباط في آنٍ واحد.

> تثير العلاقة بين الأمانة والإبداع جدلًا طويلًا في دراسات الترجمة. فهل ينبغي للمترجم أن يكون "وفيًّا" للنص المصدر إلى حد الجمود، أم أن له الحق في التصرُّف بما يخدم النص في لغته الجديدة؟

وفي خضمِّ هذه التحدِّيات، تثير العلاقة بين الأمانة والإبداع جدلاً طويلاً في دراسات الترجمة. فهل ينبغي للمترجم أن يكون "وفيًّا" للنص المصدر إلى حد الجمود، أم أن له الحق في التصرُّف بما يخدم النص في لغته الجديدة؟ في حقيقة الأمر، لا يمكن الفصل بين الأمانة والإبداع، بل ينبغي النظر إليهما بوصفهما بعدين متكاملين. فالأمانة لا تعني الحرفية، بل تعني نقل المعنى بأكبر قدر من الدقة حتى وإن تطلَّب ذلك إعادة صياغة جذريَّة. ولا يعني الإبداع الانفلات من النص، بل القدرة على إيجاد حلول لغوية تعبر عن المعنى بروح النص المصدر. والبيئات المؤسَّسية – لا سيما تلك التي تعتمد على معايير تقييم كميَّة أو آلية مثل عدد الكلمات أو نسبة التطابق مع النص المصدر – تميل إلى الأمانة الشكليَّة على الإبداع، مما يدفع المترجمين إلى اعتماد إستراتيجيات تضمن القبول المؤسسي حتى وإن بدا ذلك على حساب أسلوب الصياغة الإبداعيَّة.

وفي سياق الترجمة المعاصرة، أضحت التكنولوجيا فاعلاً مركزيًّا يعيد رسم حدود حرية المترجم، توسيعًا حينًا وتضييقًا حينًا آخر. وقد أسهمت التحولات التكنولوجية في زيادة حدَّة هذه الإشكاليَّة؛ إذ أصبحت أدوات الترجمة بمساعدة الحاسوب – أو ما يُعرف في الأدبيات الإنجليزية بـ(CAT tools) وأنظمة الترجمة الآليَّة عنصرًا أساسيًّا في بيئة العمل المؤسسي وأسهمت في إرساء معايير عالية من الاتساق والدقة. وبالرغم من ذلك، أصبحت هذه الوسائل تفرض نمطًا من العمل يقوم على إعادة استخدام الترجمات السابقة أو تعديل مخرجات آلية، مما يقلِّص دور المترجم بوصفه منتجًا للنص ويحوِّله – في كثير من الأحيان – إلى محرر لغوي. وأمست تفرض عليه نوعًا من الانضباط المصطلحي عبر ذاكرات الترجمة وقواعد البيانات، بما قد يقيِّد انطلاقة المترجم الإبداعية ويحدُّ من تعددية الخيارات التعبيرية، خصوصًا حين يُلزم باعتماد صيغ سابقة أو ترجمات معيارية لا تحتمل اجتهاد إضافي. غير أنَّ الوجه الآخر لهذه الأدوات يكشف عن إمكانات داعمة لا يُستهان بها؛ فهي تُسهم في تسريع وتيرة العمل وتخفيف العبء الذهني وتمكين المترجم من التركيز

على الجوانب التحليلية والتأويلية الأكثر عمقًا. ومن ثمَّ، فإن التكنولوجيا لا تُختزل في كونها قيدًا أو عونًا، بل تغدو فضاءً مزدوجًا يتحدد أثره بمدى وعي المترجم بآلياته وقدرته على توظيفه توظيفًا رشيدًا؛ بحيث يحافظ على صوته المهني داخل شبكة من الأنظمة الذكية، دون أن يذوب فيها أو ينفصل عنها. لذلك، تكشف هذه التحولات إمكانية التكنولوجيا في إعادة تشكيل العلاقة بين المترجم والنص، بحيث تطفق الحرية محكومة بما تتيحه هذه الأدوات لا بما يقتضيه الإبداع.

ويعكس الواقع المهني للمترجمين داخل المؤسسات تفاوتًا واضحًا في طبيعة هذه القيود وحدودها، وتختلف التجربة باختلاف نوع المؤسسة وثقافتها. ففي المؤسسات التي تنظر إلى الترجمة بوصفها عملية إنتاجية، غالبا ما يُقاس الأداء بمعايير السرعة والتكلفة، وهو ما يحدُّ من إمكانية التأني والتفكير العميق. وقد تركِّز أنظمة التقييم على الأخطاء اللغوية والتقنية، متجاهلةً الأبعاد الأسلوبيَّة والثقافية التي تشكل جوهر العمل الترجمي. وفي المقابل، توفر بعض المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحث بيئة أكثر انفتاحًا تسمح بالحوار حول خيارات الترجمة وتشجع على الابتكار، مما يوسِّع من فضاء الحرية ويمنح المترجم دورًا أكثر فاعلية في إنتاج المعرفة.

وبالرغم من هذه القيود، لا يخلو المجال من إمكانات لتوسيع هامش الحرية. إذ يمكن للمترجم أن يمارس نوعًا من التفاوض المهني مع المؤسَّسة، مستندًا إلى معرفته النظرية وخبرته العملية في تبرير اختياراته. ويتيحُ له الاستثمارُ المستمرُّ في المؤهلات والإمكانات اللغويَّة تطويرَ أدواته وتعزيز قدرته على اتخاذ قرارات واعية ومدروسة. ويشكِّل العمل الحر في بعض الحالات بديلاً يوفِّر قدرًا أكبر من الاستقلالية، وإن كان ذلك مصحوبًا بتحديات أخرى تتعلق بالاستقرار والضمانات المهنية. ومن جهة أخرى، يمكن للمترجمين الذين يتمتَّعون بقدر كافٍ من الخبرة أن يسهموا في صياغة السياسات اللغوية داخل المؤسسات، الأمر الذي يمنحهم تأثيرًا مباشرًا في تحديد طبيعة القيود وحدودها.

فالأمانة لا تعني الحرفية، بل تعني نقل المعنى بأكبر قدر من الدقة حتى وإن تطلَّب ذلك إعادة صياغة جذريَّة. ولا يعني الإبداع الانفلات من النص، بل القدرة على إيجاد حلول لغوية تعبر عن المعنى بروح النص المصدر.

إن العلاقة بين حرية المترجم والقيود المؤسسية ليست علاقة تضاد مطلق، بل هي علاقة جدلية يمكن أن تثمر توازنًا إذا ما رُسِمت بمهنية وأُديرت بوعي. فالمؤسسة – رغم ما تفرضه من ضوابط – تظل إطارًا حتميًا وضروريًا لضمان الجودة والاتساق، بينما يظل المترجم حاملاً لروح النص وقادرًا على إحيائه في لغة جديدة. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى إعادة النظر في موقع المترجم داخل المنظومة المؤسسية، بحيث لا يُختزل في دور المنفذ، بل يُعترف به شريكًا في إنتاج المعنى وصياغة الخطاب. وفي ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم اليوم –

لاسيما على المستويين التكنولوجي والثقافي- تزداد أهمية هذا التوازن إذ لم تعد الترجمة مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل أداة إستراتيجية في بناء الجسور بين الثقافات وإنتاج المعرفة العابرة للحدود. ومن هذا المنطلق، فإن الحفاظ على فضاء حرية المترجم - ضمن إطار مؤسسي مرن وواعٍ - يمثل شرطًا أساسيًا لاستمرار هذا الدور الحيوي. فحين تتكامل الحريةً مع الانضباط وتلتقي الأمانة بالإبداع، يمكن للترجمة أن تظل نشاطا إنسانيًا متجددًا وحيويًا، قادرًا على الاستجابة لمتطلبات العصر، دون أن يفقد جوهره القائم على الفهم العميق والتعبير الخلاق.

تبرز الحاجة إلى إعادة النظر في موقع المترجم داخل المنظومة المؤسسية، بحيث لا يُختزل في دور المنفذ، بل يُعترف به شريكًا في إنتاج المعنى وصياغة الخطاب.

وفي ظلِّ ما تفرضه المؤسسات من أطرٍ تنظيمية ومعاييرَ صارمة، يبدو مستقبل المترجم مرهونًا بقدرته على تحقيق توازنٍ دقيقٍ بين الامتثال الواعي لتلك القيود والحفاظ على جوهر الإبداع المهني. فالمؤسسة - وإن أحكمت قبضتها عبر أدلَّة الأسلوب والسياسات اللغوية - لا تنفي بالضرورة مساحة الاجتهاد، بل تعيد تشكيلها ضمن حدودٍ محسوبة. ومن ثمَّ، فإن المترجم القادر على استثمار هذه الحدود بوصفها إمكاناتٍ لا عوائق، هو الأجدر بمواكبة التحولات المتسارعة في حقل الترجمة. ولعلَّ أبرز السبل الكفيلة بصون هذه المعادلة تنطوي في الاستثمار في التدريب المستمر، وتعزيز الوعي النقدي بالممارسات المؤسسية، والمشاركة في حوارٍ مهنيٍّ بنَّاء يتيح للمترجمين الإسهام في تطوير السياسات اللغوية ذاتها. عندئذٍ يغدو المترجم فاعلًا لا منفعلًا، شريكًا في صناعة الخطاب لا مجرَّد ناقلٍ له، وقادرًا على تحويل القيود إلى أفقٍ جديدٍ للإبداع المنضبط.

ومع ذلك، يظلُّ المترجم - بالرغم من الضوابط المؤسسية التي تُفرض عليه - ركيزةً لا غنى عنها في الحقل الترجمي؛ إذ لا يمكن لأي منظومةٍ تنظيمية مهما بلغت دقَّتها أن تحلَّ محلَّ الحسِّ اللغوي والقدرة التأويلية التي يمتلكها. فالمترجم هو الذي يمنح النصَّ روحه المتجددة، ويعيد صياغته بما يراعي السياق والثقافة والغاية التواصلية. ومن ثمَّ، فإن القيود - وإن اشتدَّت - لا تُقصي دوره، بل تُبرز الحاجة إليه بوصفه وسيطًا خبيرًا قادرًا على التوفيق بين متطلبات المؤسسة وخصوصيات اللغة، بما يضمن إنتاج خطابٍ متوازنٍ يجمع بين الدقَّة والتجدد.

بيت الزبير
BAIT AL ZUBAIR

بيتُ الزُّبير

بيتُ التُّراث والثَّقافة والفنون .. بيتُ الجميع

كتبته أسماء القطيبي
أخصائي إعلام أول

في إطار حرصها على النهوض باللغة العربية، عملت مؤسسة بيت الزبير عبر مسارات متعددة على تكثيف جهودها الرامية إلى دعم اللغة العربية وتقديمها بصورة تليق بمكانتها؛ وبما يتسق مع رؤيتها بوصفها نموذجاً لكيان ثقافي عماني يمزج بين الجذور العُمانية الراسخة والانفتاح على الفضاءين العربي والعالمي. وبما أنها تشكّل -في الوقت نفسه- منصةً للصناعات الثقافية والإبداعية بمختلف مجالاتها، فقد آمنت بأن الوعي يمثل الركيزة الأساسية للتعايش البشري والحوار الإنساني، وهو وعيٌ لا يكتمل إلا بلغةٍ متينة تجسد وعاء الفكر والثقافة ومنطلق الإبداع.

مختبر الترجمة

يُعدُّ مختبر الترجمة من أبرز المشاريع التي أسستها المؤسسة منذ عام ٢٠١٧م؛ ويشرف عليه مترجمون عُمانيون محترفون، ويهدف إلى ترجمة المعارف ونقل النتاج الفكري العالمي إلى اللغة العربية إثراءً للمكتبة العربية بمراجع حديثة ورصينة. وسعى المختبر إلى نشر الأدب العُماني عالميًّا بترجمة الأعمال الأدبية والشعرية إلى لغات أخرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية؛ بغية التعريف بجماليات اللغة العربية وطاقتها التعبيرية، فضلاً عن تمكين المترجمين عبر حلقات عمل تخصصية لرفع كفاءتهم، مع التركيز على الدقة اللغوية والأمانة الثقافية، لأنَّ النص المترجم يحمل معه حمولاته الثقافية وليس مجرد كلمات. وقد تمخضت جهود المختبر عن إقامة أيام بيت الزبير للترجمة في يناير من عام ٢٠١٩م، واستهدفت قرابة مئة مترجم عُماني شاب؛ حيث خضعوا لورش مكثفة أطلعتهم على مستجدات حقل الترجمة، وآليات التدرب على البرامج التقنية المساعدة. وقد نظم المختبر سلسلة من الندوات والورش (حضوريًّا وافتراضيًّا) على مدار سنوات، منها على سبيل المثال: (ورشة الأخطاء الشائعة وتقنيات الترجمة التحريرية)، وجلسة (ترجمة الكتب في سلطنة عُمان.. الواقع والتحديات)، وجلسة (تقنيات الترجمة: عونٌ للمترجم أم بديلٌ عنه؟).

إصدارات المؤسسة

تسعى المؤسسة عبر إصداراتها إلى التوثيق اللغوي والأدبي؛ وذلك بنشر دواوين شعرية ومجموعات قصصية ودراسات نقدية تُعنى بسلامة اللغة وجزالتها، فضلاً عن دعم الكتّاب والمترجمين الشباب بنشر أعمالهم ودراساتهم. وتتنوع هذه الإصدارات ما بين نتاج للمسابقات والندوات الفكرية، أو كتبٍ قدّرت المؤسسة قيمتها المعرفية المضافة للمكتبة العربية. وقد أصدرت المؤسسة حتى اليوم خمسة وثلاثين كتاباً في مجالات شتى؛ فمن إصداراتها على سبيل المثال في أدب الطفل (أغاني الغابات) و(حكايات الناي)، و(سر الأسئلة العجيبة)، و(أراجيح تتأمل صورتها في النبع)، وفي الفنون (حركة الشباب.. الفن العُماني المعاصر)، و(الفنون البصرية في سلطنة عُمان من التراث إلى المعاصرة)، و(أنور سونيا.. التجربة الفردية في محاكاة الماضي للفن المعاصر)، و(محاكاة الموروث العماني في أعمال الفنانة مريم الزدجالي) و(الفن والتأويل)، و(مناديل لأجنحة الفراشة-دراسات نقدية في الفن التشكيلي العُماني). أما في الشعر، فقدمت كتاب (المبصرون في الشعر العُماني) الذي يوثق سير شعراء عُمانيين مكفوفين بطريقة "برايل"، ومثله كتاب (الخروج من العتمة)، والإصدار الشعري (ثلاثون سدرة تحرس الجبل) الذي يضم قصائد لثلاثين شاعراً عُمانيًّا باللغتين العربية والألمانية، بالإضافة إلى كتب الدراسات النقدية ومنها (النقد الثقافي.. إشكاليات وتجليات) و(الشعر والتشكيل والتصوف.. تجاور المنظومات المعرفية وافتراقاتها)، و(من مطلع الشمس).

وفي حقل الترجمة، قدمت المؤسسة أعمالاً رصينة منها (حكمة سام.. نظرة طفل استثنائي إلى الحياة) بترجمة حمدان الحجري، والنص الفلسفي (مهمة المترجم) الذي قدمه بيت الزبير بترجمة متميزة للأستاذ الدكتور أحمد بو حسن، وكتاب (التوغل داخل المغرب المظلم) للمترجم الدكتور رضوان ضاوي. وامتدت جسور التعاون إلى دار "ناتان" للنشر لتعريب ثلاث حلقات من سلسلة (الفلسفة للصغار) للفيلسوف أوسكار برونيفييه، وترجمة ماري طوق، وهي: "أنا من أكون؟"، و"ما الخير وما الشر؟"، و"ما هي الحياة؟". وقد أثمر تعاون المؤسسة مع دار "توبقال" المغربية (بوصف المؤسسة الوكيل الحصري للدار في معرض مسقط الدولي للكتاب منذ ٢٠١٧م) في تقريب المثقف العُماني من المنجز الفكري لأعلام الفكر العربي، أمثال: عبد الفتاح كيليطو، وعبد السلام بنعبد العالي، ومحمد برادة، ومحمد بنيس، مما أتاح للقارئ المحلي اطلاعاً مباشراً على إصدارات الدار ذات البعد المعرفي والفلسفي العميق.

وقد استكتبت المؤسسة الباحث في الفلسفة محمد آيت حنا فأصدرت حلقتين من (الفلسفة للناشئة)، وجمعت أعمال الملتقى الفلسفي الأول في كتاب حمل عنوان (هل نحتاج إلى الفلسفة في حياتنا؟).

مسابقة بيت الزبير للمبادرات القرائية المدرسية

تُعدُّ هذه المسابقة من أكبر مشاريع مؤسسة بيت الزبير المنفذة بالتعاون مع وزارة التعليم في سلطنة عُمان؛ إذ تستهدف تكريم المبادرات القرائية التي تتبناها المدارس في مختلف محافظات السلطنة، وتسعى للاحتفاء بهذه المبادرات وتحفيزها على التنافس في مجال القراءة، فضلاً عن الإسهام في تطوير الجانب القرائي وإثرائه، وإيجاد بدائل وحلول للمشكلات القائمة، سواء كانت تعليمية أو تربوية أو إدارية أو مجتمعية، وذلك عبر تفعيل القراءة كأداة للمعالجة والتطوير. وقد أقيمت أربع نسخ من هذه المبادرة حتى خريف عام ٢٠٢٥م، حيث شهدت كل نسخة تطويراً مستمراً من خلال الاستفادة من ملاحظات ونتائج النسخة التي سبقتها. ونُفذت جولات تعريفية شاملة في مختلف محافظات سلطنة عُمان للتعريف بالمسابقة قبل انطلاق نسختها الرابعة.. وقد بلغ عدد المشاركين في المسابقة منذ إطلاقها أكثر من ١٠٠٠ معلم ومعلمة من جميع محافظات سلطنة عُمان، قدموا ما يزيد على ٤٠٥ مبادرات. أمَّا عدد المشاركات في النسخة الرابعة وحدها فقد بلغ ١٩١ مشاركة، ضمت ما يفوق ٥٠٠ معلم ومعلمة.

مكتبة بيت الزبير

يضم بيت الزبير مكتبةً شاملة تمثل مركز أبحاثٍ رصيناً يمكن الوصول إليه عبر نظام الحجز المسبق؛ إذ تحتوي هذه المكتبة على مجموعة واسعة من الكتب الزاخرة بالتراث الثقافي العُماني ومقومات الهوية العُمانية، مما يجعلها مصدراً جوهريًّا للبحث والتعليم. وتتناول الكتب والدوريات المتاحة في المكتبة التاريخ والتراث العُمانيين، إضافة إلى تاريخ المنطقة بوجه عام، وتغطي موضوعات متخصصة في الفن الإسلامي والعمارة وعلوم المتاحف، وهي حصيلة نتاج كتبٍ مختارة أو موروثة أو مُهداة على مرِّ القرون. ويجري العمل حاليًّا على توسعة هذه المكتبة لتكون متاحة للجمهور ومتيسرة في الوصول إليها، حيث تتم تهيئة مبنى متكامل لتُنقل المكتبة إليه، بما يتيح للراغبين والباحثين الاستفادة من خدماتها ومرافقها على فترتين: صباحية ومسائية.

فعاليات وأنشطة

أقامت مؤسسة بيت الزبير في ديسمبر ٢٠٢٣م فعاليات "أيام بيت الزبير للسرد"، التي اتخذت من موضوع "الرواية والسلطة" محوراً رئيساً لنقاشاتها التي استمرت ليومين متتاليين بمشاركة نخبة من الروائيين العرب والخليجيين والمحليين. وعلى هامش هذه الأيام، نُظِّمت أمسية احتفائية باللغة العربية تزامناً مع يومها العالمي، تجسدت في جلسة حوارية ثرية قدَّمها كل من: الأستاذ الدكتور إحسان صادق، والأستاذ الدكتور أحمد درويش، والأستاذ الدكتور رضوان السيد، والأستاذ الدكتور محمد المعشني.

وتحرص المؤسسة على الاحتفاء السنوي بهذا اليوم عبر أنشطة وفعاليات مستمرة، تبرز من بينها سلسلة (كتابهم)؛ وهي مبادرة ثقافية وحوارية تهدف إلى الاحتفاء بالمنجزات الأدبية العُمانية والعربية، عبر استضافة المؤلفين العمانيين لمناقشة نتاجهم الأدبي والفكري مع الجمهور، وتتضمن الجلسات نقاشات وقراءات نقدية، وحفلات توقيع الإصدارات. ومن الكتب التي احتفت بها المبادرة كتاب 'سراة الوادي المقدس'، ومجموعة 'ليل ينسى ودائعه' للكاتبة جوخة الحارثي، ورواية 'تغريبة القافر' للكاتب زهران القاسمي، ورواية "لا يذكرون في مجاز" للكاتبة هدى حمد، وديوان "مقامات لام وضمة ميم" للشاعر محمد عبدالكريم الشحي.

واستقطبت المؤسسة في مقرها بمسقط، أو عبر مشاركاتها في معرض مسقط الدولي للكتاب، قامات فكرية وثقافية رفيعة، منهم: أدونيس، وعبد الفتاح كيليطو، وشاكر عبد الحميد، وسلطان العميمي. وإضافة إلى ذلك، تملك المؤسسة منصة إلكترونية بعنوان (المرصد الثقافي)، وهي منصة بحثية استقرائية لحركة الظواهر الثقافية، تسعى لاستطلاع ماهياتها وموجهاتها وجذورها، واستشراف مسارات الفعل الثقافي مستقبلاً، عبر تقديم أوراق نقدية، وإجراء لقاءات معمقة مع فاعلين في المشهد الثقافي على المستويين العربي والمحلي.

معهد بيت الزبير للثقافة والمعارف

يضطلع معهد بيت الزبير للثقافة والمعارف بالجانب التعليمي والأكاديمي التخصصي في دعم اللغة العربية، حيث يركز على الجانب المعرفي التطبيقي. تبرز جهوده من خلال تقديم برنامج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ويعدُّ من ضمن عدد قليل جدًّا من المعاهد التي تقدم مثل هذه البرامج في سلطنة عُمان على أيدي متخصصين. ويقدم المعهد ورشات ومحترفات تعنى بالأدب واللغة، وبرامج تدريبية ودورات تخصصية تستهدف تحسين المهارات اللغوية في البيئات المهنية.

البائع

إيميلي ديزوريك-بدران
كاتبة أمريكية

ترجمة:
راضي النماصي
المملكة العربية السعودية

لم يعد لدى البائع دولارات كافية كي يصل إلى البيت. مرَّت ثلاثة أشهر على وجوده في المدينة بينما يمشي متثاقلاً على آخر رصيف في الشوارع العريضة مثل سهول الوطن، تحت أضواء الشوارع التي لا تهب نور الشمس. ما من تغريد طائر بري أو شجر ملتف من جوف الأرض؛ لأنه ما من أرض، بل إسمنت على إسمنت وعشبة هنا وهناك. كانت هناك مسافة أميال بين مركز المدينة - حيث يبيع - ومكان نومه، وكانت المشاوير على القدمين متعبة، وأهل المدينة يتجنبونه في أجواء الريح الباردة. أحيانًا يتعثر الناس على الأرض ويقعون، فتجد أناسًا آخرين يقعون على الأجساد الساقطة بسبب عجلتهم. لقد مشى البائع فوق الأجساد أيضًا؛ إذ ما من مكان آخر كي يمشي فيه؛ فالحركة البشرية كثيفة وسريعة للغاية. لماذا يتحرك هؤلاء الناس بسرعة شديدة ويتحدثون بصوت عال؟ كان لدى البائع صوت هادئ، ولعل هذا سبب عدم بيعه الكثير من الحلي الرخيصة في حقيبته، على عكس الآخرين الذين باعوا الألعاب في وسط المدينة، فحُلي البائع لا تضيء أو تدور أو تطير. وحين يحاول شرح كون حليه مصنوعة بأيدي أصدقائه البارعين من الوطن، يكتفي الناس برد من قبيل "هل لديك أي شيء أرخص؟ شيء للأطفال؟" فيجيب البائع بصوته الضائع في ضجيج المدينة: "هذا كل ما أستطيع عرضه".

وعلى أنه لم يكن متدينًا، إلا أنه في كل ليلة يضع يده على صورة منزل أمه، ويقول بما يشبه الصلاة: أرجوك، خذني إلى الوطن مرة أخرى قريبًا. ثم يذهب إلى غرفة النوم - حيث سريره السفلي تحت بائع آخر - فينام بلا أحلام؛ لأن المدينة سرقتها.

وما إن حل الشتاء حتى باتت طرق المدينة العامة مثلجة بشكل خطر؛ لأن سكان المدينة رفضوا دفع المال لأجل الملح كي يفرشوا به شوارعهم قائلين: "لم علينا دفع المال الذي جنيناه بمشقة لننقذ الآخرين من حماقتهم؟" وفي كل يومٍ، يقع الناس أكثر فأكثر على

الشارع، ويمشي أهل المدينة على أكوام أكبر فأكبر من الأجساد. باع البائع في كل مرة حليًّا أقل من ذي قبل، وصارت حزم الأموال التي يرسلها إلى الوطن أقل سماكة فأقل، بينما تكبر الثقوب في نعليه، ومعطفه قد تقطع حتى صار خيوطًا.

آخر ما حدث أن حل يوم لم يبع فيه البائع أي شيء على الإطلاق. وخلال طريقه الطويل عائدًا إلى سريره، تعثر فوقع على الشارع، وفي لحظة تعثرت امرأة فوقعت فوقه؛ فوقع أحدهم فوقها؛ وآخر على ذلك الشخص؛ وهكذا. تسبب كل الأشخاص فوق البائع بحرارة هائلة. وقبل أن يتكسر بالكامل، شعر بالدفء من أجسادهم، مثلما كان يشعر به من النسائم اللطيفة في وطنه البعيد.

تغـيُّر

ج. روبرت لينون [1]

بينما كان قطُّنَا يموء بسعادة متكورًا في حضني ذات ليلة، لاحظتُ أن طوقه متجعد بطريقة ما، وفي أثناء عملي على تسويته لمحت بطاقة التعريف المتدلية منه. كانت البطاقة المتلفة قرصًا معدنيًّا مدموغًا يفيد بأن اسم القط "فلافي".

لكن اسم قطنا "هوراس". بعد مواصلة القراءة، اكتشفت أن البطاقة تشير إلى عنوان في شارع قديم في قرية بعيدة، سبق أن سكنا فيه بصفة مؤقتة وليست دائمة.

فكرت في الأمر قليلاً، وانتهيت إلى أحد احتمالين يشرحان ما حدث. أحد الاحتمالين أنه حين كنا في تلك القرية البعيدة، غيَّرَ شخصٌ ما طوقَ قطنا بطوق آخر من باب صنع مقلب. أما الآخر، فكان أننا استولينا بالمصادفة على قط أحدهم وهجرنا قطنا.

في البدء، نفيت الاحتمال الثاني، وأردفت في بالي أن خمس سنوات مضت منذ عشنا في تلك القرية، وهذا القط يشبه قطنا إلى حد كبير، والقرية التي نعيش بها الآن على نحو دائم صارت موطنه؛ لكن ما إن أمعنت التفكير حتى أدركت انعدام احتمالية حدوث مقلب من نوع

---

١ أستاذ الكتابة الإبداعية في جامعة كورنِل، وأحد أهم الأسماء الشابة اللامعة في الأدب الأمريكي المعاصر. صدرت له ثمان روايات ومجموعتان قصصيتان. من أعماله «بروكِن ريفر»، «مألوف»، «ساعي البريد»، «المضحكون»، «قطع لليد اليسرى»، «أراك في الجنة».

تغيير الطوق، وفي نفس الوقت بدأت أتذكر التغيرات التي اعترت شخصية قطنا خلال وقت الانتقال، وما افترضنا - بشكل طبيعي - أنها مجرد أحد عواقب الانتقال إلى مكان آخر، لكنها صارت الآن عواقب الاستيلاء على قط مختلف تمامًا.

نهضت مباشرة واتصلت على رقم الهاتف المطبوع على البطاقة، فأجابت امرأة. سألتها عما إذا فقدت قطًّا اسمه "فلافي"، وبعد صمت طويل ردت بالإيجاب وأنه كان لديها منذ عدة سنوات، وما إذا لديَّ أي معلومات عنه؟ فأخبرتها أني وجدت طوقه مفصولاً، وسألتها إن رغبت مني إرساله إليها. بعد صمت مؤثر، طلبت مني المرأة أن أباشر ذلك، وفعلته في اليوم التالي. كما طلبت بطاقة جديدة مطبوعًا عليها اسم "هوراس" عبر كتالوج لمستلزمات العناية بالحيوانات.

على أنني لم أعد أرى ذلك فعلاً جبانًا، إلا أن الشك قد اعتراني لعدة أسابيع؛ أما الآن، فآمل فقط أن "هوراس" الحقيقي لدى عائلة لطيفة.

الفكرة

روبرت لوبيز [٢]

كانت لدي فكرة ذات مرة، لكنها ذهبت الآن. كانت تلك الفكرة تتعلق باستعمال جديد للمراوح الكهربائية. يحدث ذلك لي أحيانًا، إذ أنسى الأفكار مثلما نسيت اسمي. أظن أن اسمي على وزن اسم طائر، لكني لا أعرف ما الطائر. أنا جاهل تمامًا بالطيور. جزء من المشكلة أني مصاب بعمى الألوان، لكن الأدهى أني لست مثل بقية المصابين؛ فهم يرون طائرًا أزرقَ محلقًا على أن لونه أخضر، والفرق أنهم يعلمون بأن الطائر ليس أخضرَ في الواقع؛ لأنهم يعرفون أن كل أخضر يرونه إنما هو بلون أزرق، فالأخضر أزرق في نظرهم، والأزرق أخضر في معظم الأحيان. إن كنت مصابًا بعمى الألوان فسيكون هذا حالك. أما أنا فلا أستطيع رؤية اللون الأخضر أو الأزرق؛ إذ كل الطيور تبدو متشابهة في نظري. كلها بلا ألوان. ذهبت إلى أطباء العيون، لكنهم لا يستطيعون معالجتي. يقولون: إن هناك مشكلة في قرنيتيَّ وعلي استئصالهما وزرع قرنيتين جديدتين. سألتهم عن سبب حدوث ذلك لي، لكنهم لم يقدروا على الإجابة.

---

٢ روائي وقاص أمريكي، يعمل إلى جانب الكتابة أستاذًا بجامعة كولومبيا وكلية باين مينور، وظهرت أعماله في العديد من المطبوعات الأدبية في الولايات المتحدة. من أعماله «جزء من العالم» و«أناس طيبون».

أعتقد أن ما حدث ذات ليلة أني أويت إلى الفراش، وكان كل شيء على ما يرام واستيقظت في الصباح التالي مصابًا بعمى الألوان على هذه الحالة، وما أذكره أني نظرت من حولي في أرجاء الغرفة متسائلاً عمَّا جرى للجدران والسجاد. لكن حتى هذا ليس مهمًا؛ فمن الصعب دومًا التفرقة بين المهم وغيره حين تصاب بعمى الألوان. المهم فكرتي عن المراوح الكهربائية. حلت عليَّ تلك الفكرة قبل أن أغرق في نومي وأحلم بكابوس. حتى كوابيسي بلا ألوان. لكن ذلك ليس مهمًا مثل كل شيء آخر؛ لذلك دعونا ننسَها الآن وننسَ كلَّ شيءٍ آخر عدا فكرتي التي نسيتها أصلاً ذات مرة. أعتقد أني لو كنت مصابًا بعمى الألوان كما أصيب به الآخرون لكنت قد استيقظت في الصباح التالي وتذكرت فكرتي عن المراوح الكهربائية، لكن الحقيقة المحزنة أني لست مثلهم؛ ولذا ذهبت الفكرة إلى الأبد مثل الريح. أظن أني سأتذكر اسمي يومًا ما، لكني لا آبه بشأنه كثيرًا، ولو خُيِّرت بين تذكر اسمي أو فكرتي عن المراوح الكهربائية فلن أفكر بينهما أساسًا. والآن، أحاول تذكر اسمي كل مرة حين آوي إلى الفراش، لكني دومًا أفشل وأنام قبل أن أفلح، وحين أستيقظ لا يمكنني التفكير بأي استعمال آخر للمراوح الكهربائية، غير وصلها بقابس في الجدار، وتركها تنفخ على كل شيء آخر بلا لون في الغرفة.

بسمة بنت سليم الخاطري

كاتبةٌ ومُعِدَّةُ برامجٍ في مجالِ أدبِ الطفلِ. سلطنة عُمان

أَصفُ نفسي بأنِّي كاتبة من بلادِ الشمسِ واللُّبانِ عُمانَ. وجدتُ في أدبِ الطفلِ عالمًا واسعًا يحملُ بين طيّاتِهِ الفرحَ والمعرفةَ. فمنذُ سنواتِ دراستي الأولى، بدأتُ بالكتابةِ بدافعِ الشغفِ، ولم أكنْ أعلمُ أنَّ هذهِ البداياتِ الصغيرةِ ستقودُني يومًا إلى أنْ أكونَ من بينَ الأسماءِ المهتمةِ بأدبِ الطفلِ في عُمانَ والعالمِ العربيِّ.

أحرصُ في كتاباتي على أنْ أقدِّمَ للطفلِ محتوى يجمعُ بين المتعةِ والفائدةِ، فأنا أؤمنُ أنَّ الطفلَ يتعلَّمُ أفضلَ حينَ يستمتعُ. لذلك أكتبُ بأسلوبٍ بسيطٍ ومشوِّقٍ، وأحاولُ أنْ أقدِّمَ المعلوماتِ داخلَ قصةٍ حيَّةٍ تحرِّكُ خيالَ الطفلِ وتجعلهُ شريكًا في الاكتشافِ.

خلالَ مسيرتي، قدَّمتُ أعمالاً عديدةً للأطفالِ، وكتبتُ سلاسلَ قصصيةً متنوعةً، وقد تُرجِمَتْ بعضُ أعمالي إلى لغاتٍ أخرى، وهو ما أسعدني كثيرًا

لأنَّ رسالتي وصلتْ إلى أطفالٍ من ثقافاتٍ مختلفةٍ. كما شاركتُ في إعدادِ برامجَ إذاعيةٍ وتلفزيونيةٍ موجَّهةٍ للأطفالِ، وأسهمتُ في تقديمِ محتوى ثقافيٍّ وتعليميٍّ يخدمُ هذهِ الفئةَ المهمةَ.

لم تقتصرْ رحلتي على الكتابةِ فقط، بل عملتُ أيضًا في تحريرِ عددٍ من مجلاتِ الأطفالِ، وسعيتُ من خلالها إلى تقديمِ محتوى ثريٍّ يُسهمُ في تنميةِ وعيِ الطفلِ ويُعزِّزُ مهاراتِهِ.

ولقد تُوِّجَتْ مسيرتي بالمشاركةِ في إدارةِ مشاريعَ أدبيةٍ مع وزارةِ التربيةِ والتعليمِ في سلطنةِ عُمانَ، حيثُ أنتجنا عشراتِ الكتبِ التي أثرتِ المكتبةَ المدرسيةَ في عُمانَ.

أنا مؤمنةٌ بأنَّ أدبَ الطفلِ يجبُ أنْ يكونَ ممتعًا قبلَ أنْ يكونَ موجَّهًا، وأنَّ المعرفةَ حينَ تُقدَّمُ بأسلوبٍ يُشبهُ اللعبَ تصبحُ أكثرَ تأثيرًا وتبقى في ذاكرةِ الطفلِ. لذلك أسعى دائمًا إلى أنْ تكونَ كتاباتي جسرًا يجمعُ بين التعلُّمِ والمرحِ، ويُسهمُ في بناءِ جيلٍ واعٍ ومبدعٍ

إقرأ
زُرْ قرص الشَّمْس
قصة: بسمة الخاطري
رسم: غادي سلامة
دار الرقي

يوميات طفل
واثق بنفسه

خُطَّة
أرنوب
أرنوب

يَذوبُ
أوْ
يَذوب

النور
اختفال حبات الذرة

صفر
ربما أكثر؟
رسوم
خلود خالد
قصة
بسمة الخاطري و فداء شتية

ندوة

"اللُّغة العربيَّة حاضنةُ الإبداعِ والتَّنوع"

اليوم العالمي للغة العربية ٢٠٢٥م

١٨ ديسمبر

نَظَّمَت الأمانةُ العامةُ لمجلسِ التَّعاون لدولِ الخليج العربيَّة، ممثلة بقطاع شؤون الإنسان والبيئة – مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية، وبالتعاون مع وزارة الثقافة والرياضة والشباب في سلطنة عُمان، ندوةً بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية والذي يصادف يوم ١٨ ديسمبر من كل عام. جاءت الندوة بعنوان "اللُّغة العربيَّة حاضنةُ الإبداعِ والتَّنوع"، ونفذت عبر تقنية الاتصال المرئي في يوم الأربعاء الموافق ١٧ ديسمبر ٢٠٢٥م.

المشاركون في الندوة:

أ.د/ محمودِ بن عبدِ اللهِ المحمودِ

رئيسُ قطاعِ التخطيطِ والسياسةِ اللغويةِ بمجمعِ الملكِ سلمانَ العالميِّ للغةِ العربيةِ

اللُّغةُ العربيَّة ناقلةُ الحضارةِ والإرثِ الإنساني

أ.د. عامر فائل محمد بلحاف

أستاذ اللغة والنحو بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الشرقية

العربيات الجنوبية في سلطنة عُمان... ذخيرة ثقافية

د/ علي بن حمد الريامي

أستاذ علم اللغة المساعد بجامعة التقنية والعلوم التطبيقية بجامعة صحار

دورُ اللغةِ العربيَّة في حفظِ الموروثِ الثقافي العُماني - الأمثالُ الشعبية نموذجًا

د/ فوزية بنت سيف بن علي الفهدي

مشرفة تربوية في وزارة التربية والتعليم سابقًا

نحو مستقبل لغويّ شامل: العربية بين الابتكار التقني ورهان السياسات التعليمية والإعلامية والتقنية في سلطنة عمان

اللُّغةُ العربيَّة ناقلةُ الحضارةِ والإرثِ الإنساني

أ.د/ محمود بن عبد الله المحمود
رئيسُ قطاعِ التخطيطِ والسياسةِ اللغويةِ
بمجمعِ الملكِ سلمانَ العالميِّ للغةِ العربيةِ

في الثامن عشر من ديسمبر من كلِّ عام، يحتفي العالم باليوم العالمي للغة العربية، وهو اليوم الذي اعتمدت فيه الأمم المتحدة عام ١٩٧٣ اللغة العربية ضمن لغاتها الرسمية الست. غير أنّ هذا اليوم لا يقتصر على احتفاء رمزيّ بل يحمل دلالات أعمق، فهو اعتراف عالمي بمكانة اللغة العربية بوصفها وعاءً للمعرفة، وجسرًا للتواصل الحضاري، ورمزًا لهوية ثقافية ممتدة عبر القرون.

تُعدُّ العربية من أقدم اللغات الحيَّة في العالم، فقد نشأت في الجزيرة العربية قبل آلاف السنين، واحتفظت بخصائصها اللغوية الفريدة على الرغم من التحولات التاريخية والثقافية التي مرَّت بها. ويكفيها فخرًا أنها اللغة التي اختارها الله تعالى وعاءً للوحي الإلهي، فنزل بها القرآن الكريم فحفظها من الاندثار، وأكسبها سموًّا لا تضاهيه لغة أخرى.

وتتميزالعربية ببنية صرفية غنية ونظام صوتي دقيق مكّنها من استيعاب المفاهيم العلمية والفكرية الجديدة على مرِّ العصور، دون أن تفقد مرونتها أو أصالتها.

امتدت العربية خارج حدود موطنها الأول مع انتشار الإسلام، فغدت لغة الدين والعلم والإدارة في رقعة واسعة من العالم من الأندلس غربًا إلى حدود الصين شرقًا. ولم تكن العربية مجرد وسيلة تواصل، بل كانت أداة بناء حضارة متكاملة. فالمكتبات والمراكز العلمية في بغداد وقرطبة ودمشق والقاهرة زخرت بكتب كتبت بالعربية في الطب والهندسة والفلسفة والفلك والمنطق، ما جعلها لغة العلم الأولى في العالم لقرون عديدة.

إنَّ هذا الامتداد لم يكن توسعًا جغرافيًّا فحسب، بل كان امتدادًا ثقافيًّا ومعرفيًّا جعل العربية لغة مشتركة لعلماء من أصول مختلفة، من الفرس والهنود والروم وغيرهم، اجتمعوا تحت راية العلم بلغة واحدة، وساهموا في نقل الحضارة الإنسانية والإرث البشري.

كان للعربية دور محوري في نقل التراث الإنساني بين الشرق والغرب. فحين كانت أوروبا غارقة في عصورها الوسطى، كانت العربية لغة الترجمة والمعرفة في بيت الحكمة ببغداد، ومنها انتقلت مؤلفات أرسطو وأفلاطون وجالينوس إلى اللاتينية، ما مهَّد لنهضة أوروبا الفكرية والعلمية. ولم يقتصر دور العربية على النقل فحسب، بل أضافت إبداعًا وابتكارًا؛ فالعلماء العرب والمسلمون لم يكونوا مجرَّد ناقلين، بل كانوا مؤسِّسين للمنهج العلمي القائم

على الملاحظة والتجريب، وقد حفظت كتبهم بالعربية أصول التفكير العلمي الذي تأسس عليه العلم الحديث.

ورغم تحديات العولمة وهيمنة اللغات الكبرى، ما زالت العربية تحتل مكانة رفيعة في المشهد اللغوي العالمي. فهي اليوم اللغة الأم لما يقرب نصف مليار، وتُدرَّس في مئات الجامعات والمعاهد حول العالم، وتمثل إحدى لغات العمل في المنظمات الدولية. وقد أتاحت الثورة الرقمية للعربية فضاءً واسعًا للنمو، إذ تشهد المحتويات العربية على الإنترنت توسعًا مطَّردًا يعكس حيوية أبنائها وحرصهم على تحديث لغتهم. إنَّ الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية فرصة لتجديد العهد معها، وإدراك مسؤوليتنا في تعليمها وتطوير طرائق تدريسها والترجمة منها وإليها وتنمية حضورها في المجالات الحيوية.

ليست اللغة العربية مجرد أداة تواصل، بل هي وعاء حضارة، وذاكرة أمة، ورسالة إنسانية تتجاوز حدود الزمان والمكان. والاحتفال بيومها العالمي دعوة لتأمل عمقها التاريخي وثرائها الثقافي، والتزام بمواصلة حمل رسالتها في ميادين التعليم والثقافة والعلم. فمن يتحدث العربية لا يتحدث لغة فحسب، بل ينطق بتاريخ الإنسانية حين كانت الكلمة سبيلاً للنور والعلم والجمال. إننا في اليوم العالمي للغة العربية نسعد بالنظر إليه بوصفه محطةً سنوية نقف فيها أمام تاريخ طويل، وحاضرٍ متجدد، ومستقبلٍ واعد للغتنا العريقة. ولعل هذه المناسبة تمثل فرصة لمراجعة الأعمال، وفحص الأولويات...

وفي الختام أوجه وافر الشكر وعظيم الامتنان لزملائي في مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية على جهودهم النوعية ومشروعاتهم الطموحة في خدمة لغتنا الخالدة، وعلى دعوتهم الكريمة للمشاركة بكلمة في هذا الاحتفاء.

العربيات الجنوبية في سلطنة عُمان
ذخيرة ثقافية

أ.د. عامر فائل محمد بلحاف
أستاذ اللغة والنحو في قسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الشرقية
سلطنة عُمان

◄ مقدمة:

خصّ المهتمون في حقل اللغات موضوع (التنوّع اللغوي) بمزيد عناية في السنوات الماضية، وأضحى الحديث عنه وفيه مثار شغف واهتمام الكثيرين؛ لأنّه متعلق باللغة، والحديث عن اللغات بشكل عام فيه متعة، لأنّها تعبّر – في المقام الأول – عن الهُوية، ولأنّها الأداة الأساسية للمعرفة الإنسانية، وهي خير حافظ للتاريخ بمختلف أشكاله، وهي لا تنفكّ تصحبنا في الأحاديث اليومية، وإنجاز الأعمال، وحديث الآباء إلى أطفالهم، وفي التعبيرات المرتبطة بصنوف شتى كالأرقام والطقوس والأساطير والآلات وأسماء النبات والحيوان... ويزداد الأمر شغفًا ومتعة عند وجود تنوّع لغوي في منطقة ما أو بلد ما.

يظهر التنوع اللغوي في سلطنة عُمان في عدد من اللغات المنتشرة في أرجائها، بعضها قديم تليد، وبعضها حديث طريف، منها العربيات الجنوبية: الشحرية، والمهرية، والهوبيوت، والبطحرية، والحرسوسية، كما يظهر في لغات تقع أقصى شمال البلاد كالكمزارية، وفي لغات ثانية وفدت نتيجة صلات سياسية وحضارية واقتصادية، كالسواحلية التي يتحدث بها إلى اليوم عدد من المواطنين العمانيين الذين عادوا إلى عُمان بعد أن استقروا – واستقرّ آباؤهم وأجدادهم – يومًا ما في رحاب الإمبراطورية العمانية التي امتد سلطانها إلى شرق أفريقيا، والبلوشية، والزدجالية، واللواتية، ويُقدَّر عدد المتحدثين بهذه اللغات مجتمعةً بالآلاف (الصقير، ٢٠٢٤: ٣٥٢ – ٣٥٣). ويعكس هذا التنوع اللغويّ تنوّعًا اجتماعيًّا وثقافيًّا يحفل بالكثير من الآداب والعادات والتقاليد والأعراف والقيم الإنسانية.

ولا نبالغ إذا وصفنا العربيات الجنوبية في سلطنة عُمان بـ (الخزّان الثقافيّ)، نظرًا لما تزخر به ثقافاتها الشعبية من ثراء، ولما تحتويه ذاكرتها الشفوية الجمعية من غنى، وهي – بلا شك – رصيد إنسانيّ عام للأمم والشعوب، وقد عاشت هذه الألسن في سنوات مضت عزلة مطبقة عن العالم؛ عزلة جغرافية في موقع منزوٍ جنوب الجزيرة العربية بين جبال وبحر، وتتبع ذلك – كنتيجة منطقية – عزلة سياسيةً واقتصادية وثقافية...، وقد ساعدت هذه العزلة – برأيي – في الحفاظ عليها صافية نقية، ولو أنّها اختلطت بغيرها منذ زمن لذابت كما ذاب غيرها.

١. التنوع اللغوي والثقافة:

عادة ما يربط الباحثون في التنوع اللغوي بينه وبين الثقافة، ونقصد بالثقافة هنا: القيم والمعتقدات والعادات والتقاليد والمعارف والمهارات والفنون في مجتمع ما، وكل ما يكتسبه الإنسان بعدّه فردًا في مجتمع، وهذه الثقافة قد تتحول إلى سلوك جمعي مشترك، ينظّم طريقة تفكير الناس ونمط حياتهم، وهي السمة في التفريق بين مجتمع وآخر. وقد أولت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) التنوع اللغويّ أهمية متزايدة؛ لأنّه أضحى اليوم مكوّنًا أساسيًّا من "مكونات الثراء الثقافيّ ومصادره، وتعدّ العناية بهذا التنوّع والمحافظة عليه دلالة على حضارة المجتمعات البشرية، كما أنّ وجوده واستمراره يعبّر عن صورة من صور القبول والتعايش السلميّ بين أفراد المجتمعات التي تهتم بتنوع مكوناتها اللغوية والثقافية، فلا يثير ذلك قلقها، بل تحافظ عليه وتعدّه مصدر ثراء لها مهما توجّهت إلى إيجاد نموذج لغويّ موحّد يلتزم به المجتمع تعبيرًا عن اتفاقه على مظلة واحدة يرتبط بها الجميع (الأزرقي، ٢٠٢٣: ١٣).

وربط الباحثون أيضًا بين التنوع اللغويّ واندثار اللغات في العالم، باعتبار أنّ هذا التنوع مهدد في الأساس هذه الأيام، فخسارة لغة ما هو إلّا خسارة معرفية للبشرية جمعاء، يؤدي – بلا شك – إلى فقدان قدر لا يعوّض من المعارف الإنسانية الثقافية والتاريخية والبيئية التي أنتجها الإنسان على مرّ العصور، "فكلّ لغة تمثّل تجربة إنسانية في العالم، وكل لغة هي مفاتيح لمغاليق من الأسئلة في المستقبل، وكلّما ماتت لغة كان ذلك دليلاً على أنّنا بحاجة لفهم بِنى لغات البشرية ووظائفها لما قبل البشرية، وللحفاظ على النُظم الأيكولوجية المتنوعة في العالم. فكما تواجه اللغات خطر الانقراض، يكون زوال الهوية الثقافية الأصلية نتيجة حتمية مترتبة على ذلك" (بولعراس، ٢٠١٦: ٦٩ – ٧٠). ويزداد الأمر تعقيدًا في هذه الأيام التي نعيشها؛ حيث أضحت الهويات الثقافية عامةً مهددة بفعل العولمة، وغلبة ثقافة على ثقافة، وتوجّه بني البشر إلى النموذج العالميّ الموحّد الذي يحاول أن يفرض لغة واحدة وثقافة واحدة.

كما عبّر عن هذه الخسارة البشرية أيضًا كوكشيرو ماتسورا – مدير عام اليونسكو – حين ذكر أنّ موت اللغات سيؤدي إلى اختفاء الكثير من أشكال التراث الثقافيّ الإنسانيّ الثمين، لذا طالب الخبراء والمهتمين بابتكار أدوار حديثة لمنع فقدان اللغات النادرة، والنظر بجديّة إلى حماية التعددية اللغوية في العالم، وضرورة وجود إجراءات دولية ذات أهداف محددة من قِبل كلّ المجتمعات المحلية والحكومات الدولية، وفي مقدمتها استخدام هذه اللغات المهددة في الحياة اليومية ومتطلباتها من تعليم وكتابة وفنون وتجارة ووسائل إعلام (سليمان، ٢٠١٦: ٥٧). والحقّ أنّنا لن نذيع سرًّا أو نشيع مستترًا إذا ذكرنا أنّ الكثير من أشكال التراث الثقافي في هذه العربيات قد اندثر فعلاً، هذه حقيقة يعلمها جميع أبناء هذه الألسن، فالحكايات والقصص والألغاز والأشعار والعبارات القديمة السائرة قد اندثر كمّ هائل منها بموت كبار السن وعدم انتقالها إلى الأجيال اللاحقة، فلم تعد هذه الأجيال تحفظ الشعر القديم، وهو

الذي له ما له من الأهمية في أي دراسة تبحث عن العربيات الجنوبية النقية الصافية.

وذكر هاريسون أنّ هناك ثلاثة أسباب تدفعنا إلى حماية هذه اللغات المهددة والحفاظ عليها وتوثيقها، وأوّل هذه الأسباب أنّ موت لغة ما يؤدي إلى تآكل المعرفة الإنسانية من الأفكار وطرائق المعرفة وطرائق الحديث والحكمة المتراكمة، بل إنّ معظم ما تعلمه البشر على وجه الأرض منذ آلاف السنين يكمن تحديدًا في هذه اللغات المهددة. ويظهر السبب الثاني في ضياع التراث الثقافيّ الذي يشمل المعتقدات والعادات والتقاليد والشعر والأغاني والحكايات، ما يعني أنّ تاريخنا الإنسانيّ سيُمحى، وسنسلّم أنفسنا طوعًا إلى فقدان ذاكرة ثقافيّة، وهذا سيقوّض قدرتنا على التعايش بسلام مع التنوّع البشري. ويتجلّى السبب الثالث في كون اللغة نافذة لفهم طبيعة العقل البشريّ، وقدرته على تنظيم المعلومات ومعالجتها، وقد شُبّه هذا العقل بالصندوق الأسود الذي لا يمكننا معرفة خباياه إلّا من خلال اللغة التي قد نتساهل في التفريط بها (جلال، ٢٠١٦: ١٦١ – ١٦٣).

إنّ التنوّع اللغويّ في سلطنة عُمان خزّان ثقافةٍ نفيس، ينطوي على الكثير من أشكال التعبير الشفهي والعديد من الآدابِ والفنون والموروث الشعبيّ، فإنْ نحن حافظنا عليه فسنحافظ على إرث يستحقّ عناء الصون وجهد الحماية، وإنْ فرّطنا فيه فسيضيع من بين أيدينا كنز وطني وعربيّ وعالميّ وإنسانيّ، وسنسلّم أنفسنا إلى فقدان ذاكرة ثقافيّ تدريجيّ.

إنّ التنوّع اللغويّ في سلطنة عُمان خزّان ثقافةٍ نفيس، ينطوي على الكثير من أشكال التعبير الشفهي والعديد من الآداب والفنون والموروث الشعبيّ، فإنْ نحن حافظنا عليه فسنحافظ على إرث يستحقّ عناء الصون وجهد الحماية، وإنْ فرّطنا فيه فسيضيع من بين أيدينا كنز وطني وعربيّ وعالميّ وإنسانيّ، وسنسلّم أنفسنا إلى فقدان ذاكرة ثقافي تدريجيّ.

٢. أشكال التعبير الشفهي:

يُقصد بأشكال التعبير الشفهي ما تكتنزه هذه العربيات من قصص وحكايات وحكم وأمثال وأشعار وألغاز... وهي – بلا شك – خير حامل لثقافة هذه الألسن، وخير معبّر عمّا تحويه من إرث، ذلك أنّها حمولة غزيرة من الألفاظ الأساسية وأسماء الأماكن والأشخاص والنبات والحيوان، وهي "تختزل الكثير من المعاني التي يحتاج التعبير عنها بلغة أخرى إلى مفردات كثيرة" (الصيعري، ٢٠٢٤: ٢٥٤)، بيد أنّ هذه العربيات اليوم تحتاج إلى عناية إعلامية على وجه الخصوص، تُظهرها وتقدّمها للعالم، وطالما كان الإعلام – وبخاصة الجديد منه – أداة مفيدة للتعريف بالثقافات المغمورة.

تحاول العربيات الجنوبية في سلطنة عمان اليوم تقديم نفسها إلى المجالات الجديدة والإعلام لكن بخطوات متواضعة، وهي بحاجة ماسة للتعريف بنفسها إعلاميًا بعدّها لغة عربية قديمة، وتراثًا إنسانيًا يستحق منّا التعريف به وحفظه، بل هي ثقافات تتميز اليوم بتراثها الإنسانيّ الثقافي اللامادي الذي يعود أغلبه إلى حقب تاريخية قديمة، ويظهر في صور عديدة منها:

- أشكال التعبير الشفهي من قصص وحكايات وأمثال وألغاز...
- الموروث الشعبي أو الفلكلور، وفنون أداء العروض والرقصات الشعبية وتقاليدها.
- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.
- المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.
- الفنون الحرفية التقليدية على اختلافها وأنواعها.

إنّ العربيات الجنوبية اليوم بسبب غيابها إعلاميًّا تعاني من تهديدات لغوية ثقافية تتمثل في فقدان عدد كبير من القصص والحكايات بوفاة كبار السن، وإقبال أبنائها على فنون وتقاليد وافدة على حساب المحلي منها، واضمحلال بعض الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات، وهجرة الفنون الحرفية التقليدية والاتجاه إلى الجديد. وما من شك في أنّها بحاجة إلى مشروع إعلاميّ توثيقي ضخم لأشكال التعبير الشفهي فيها، وتشجيع إقامة الممارسات الاجتماعية والاحتفالات من خلال المهرجانات، وإحياء الحرف اليدوية التقليدية وإيجاد الأسواق الخاصة بها، والتوعية بأهمية الحفاظ على الفنون والأهازيج الشعبية (بلحاف: ٢٠٢٥: ١٤٥ - ١٤٦).

ومن الإنصاف أن نذكر أنّ هناك جهودًا تمّت في توثيق أشكال التعبير الشفوي في سلطنة عُمان والجمهورية اليمنية حيث يُتكلّم إلى يومنا هذا بهذه العربيات، كالجهود التي قامت بها هيئة الوثائق المحفوظات الوطنية العمانية حين وثّقت الكثير من هذه الأشكال من خلال نزول ميداني إلى الكثير من الولايات والمناطق في البلاد منها محافظة ظفار التي تحتضن أغلب هذه الألسن. كما ظهرت بعض المؤلفات التي حفظت بعض هذه الأشكال ككتاب (حكايات شعبية ظفارية) لمؤلفه محمد بن مسلم المهري (٢٠١٠) على سبيل المثال، وظهرت بعض المؤلفات المتخصصة ببعض هذه اللغات ككتاب (المهرة: ذكريات وخواطر أشجان) لمؤلفه الأستاذ الدكتور: أمين عبد الله اليزيدي الذي تحدّث في قسمه الثاني عن الأدب والثقافة والفن، وجمع فيه مادة علمية ضخمة من الأمثال المهرية، والشعر المهري، مع قائمة طويلة بأبرز الشعراء ونماذج من أشعارهم، وأبرز المؤلفات الثقافية والمؤلفين، ليختم كتابه بالفن وأشهر الفنانين (٢٠٢١).

وتُوّجت هذه الجهود - مؤخرا - بإطلاق منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) كرسي السلطان هيثم لصون التراث غير المادي، "في خطوة تعكس التقدير الدولي للدور الريادي الذي تضطلع به سلطنة عُمان في صون التراث الثقافي غير المادي، وتعزيز حضوره كأحد المرتكزات الإنسانية المشتركة. وتأتي هذه الجائزة ثمرة استحداث مشترك بمبادرة وطنية قادتها وزارة الثقافة والرياضة والشباب بالتعاون مع وزارة التعليم، واللجنة الوطنية العُمانية للتربية والثقافة والعلوم، وبالتنسيق مع المندوبية الدائمة لسلطنة عُمان لدى اليونسكو، حيث تم تطوير إطارها المفاهيمي وأهدافها بما ينسجم مع التوجهات الدولية في

حماية التراث الثقافي غير المادي" (العمانية، ٢٠٢٦).

"ومن المؤمل أن تمثل الجائزة إحدى أبرز المبادرات العالمية الداعمة للإسهامات المتميزة في مجال التراث الثقافي غير المادي، إذ تستهدف الجائزة المنظمات الحكومية وغير الحكومية والأفراد والجماعات والمعاهد والمراكز العلمية والجامعات التي تعمل في مختلف مجالات التراث الثقافي. وتسعى الجائزة إلى تحقيق جملة من الأهداف التي تتقاطع مع الجهود الثقافية الدولية، من أبرزها: مكافأة جهود المنظمات التي أسهمت في صون ونقل التراث الثقافي غير المادي الذي تعترف به المجتمعات والجماعات، وفي بعض الحالات الأفراد، كجزء من تراثهم غير المادي وفقًا للمادة ٢ من اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي لعام ٢٠٠٣، وتهدف الجائزة أيضًا إلى حماية التراث الثقافي غير المادي وتعزيز دوره في تعزيز التماسك الاجتماعي والسلام والمساواة والتنمية المستدامة، وكذلك ضمان احترام التراث الثقافي غير المادي للمجتمعات والجماعات والأفراد المعنيين، إلى جانب رفع مستوى الوعي على المستويات المحلية والوطنية والدولية بأهمية التراث الثقافي غير المادي، وضمان تقديره المتبادل. ومن بين الأهداف أيضًا التنفيذ الفعال لاتفاقية عام ٢٠٠٣ من خلال ارتباطاتها بالمبادرات التي أقرتها الهيئات الإدارية للاتفاقية، بما في ذلك منصة اليونسكو الإلكترونية لتبادل الخبرات في مجال صون التراث الثقافي غير المادي، وكذلك المساهمة في تنفيذ أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠ لليونسكو متمثلة في هدف التعليم الجيد، وهدف المدن والمجتمعات المستدامة، وهدف السلام والعدالة والمؤسسات القوية" (العمانية، ٢٠٢٦).

إنّ الحفاظ على هذه الأشكال التعبيرية الشفوية هو حفاظ في المقام الأول على نوع من التنوع اللغوي في سلطنة عمان، وهو بحاجة إلى إسعاف توثيقيّ يتمثل في مجموعة من الإجراءات لصون هذه اللغات وحمايتها؛ وعدد من الخطوات المهمة لحفظها، ذلك أنّ كلّ لغة تمثّل ثقافة أحادية ومعرفة إيكولوجية فريدة في حدّ ذاتها، بل إنّ هذه المعرفة والثقافة مجسّدة أيضًا من خلال هذا التنوع اللغويّ، لذا فتوثيق هذه اللغات مهم لأسباب عدة، منها:

- أنّه يُثري الملكية الفكرية للإنسان.
- أنّه يقدّم رؤية ثقافية قد تضيف الجديد إلى المعرفة المعاصرة التي نمتلكها.
- أنّه يثري اللغة المصدر للفرد بالمعارف اللسانية والثقافية (بولعراس، ٢٠١٦: ٧٧).

إنّ التنوع اللغويّ غير مخيف، وإنّ الاختلاف الثقافيّ لا ولن يمثل تهديدًا، بل يُظهران العالم الذي نعيش فيه متنوّعًا يقبل الآخر ويقبل اختلافه، وقد سخر اللغويّ ديفيد كريستال من حجة يروّج لها مناصرو العولمة ترى أنّ العالم سيكون أفضل لو تحدّث الجميع لغة مشتركة، بحجة أنّ الاختلافات اللغوية غالبًا ما تتسبب في الصراعات الداخلية، وهي حجر عثرة في طريق

السلم العالميّ، وعائق أمام التبادلات التجارية، وتحول دون التفاوض السياسيّ المرن في حال نشوب المنازعات، يضاف إلى ذلك الكلفة المادية الباهظة التي تستلزمها برامج الحفاظ على اللغات المهددة بالاندثار. وقد لاحظ كريستال أنّ الداعين إلى اللغة العالمية الموحّدة غالبًا ما ينتمون إلى لغة أحادية، ويضعون في اعتبارهم – في المقام الأول – لغتهم الخاصة ومصالحهم الشخصية، وكانت وجهة نظره واضحة حين تساءل: لِمَ علينا أن نضطلع بهذه اللغات؟ إذْ نصّ على ضرورة أن ننظر إلى التنوع اللغويّ بالطريقة نفسها التي ننظر فيها إلى التنوع البيولوجيّ، وأنْ ننظر إلى اللغة بوصفها جزءًا من النظام الإيكولوجيّ للحضارة البشرية، ووجود خلل واحد في أي جزء من أجزاء هذا النظام سيؤدي إلى خلل في جميع مكوناته. يُضاف إلى ذلك أنّ الاختلاف عنصر مهم من عناصر القدرة على التكيّف بين مختلف العناصر للبقاء على قيد الحياة. وقد لخّص رأيه قائلاً: "إذا كان التنوّع شرطًا أساسيًّا لنجاح البشرية، فإنّ الحفاظ على التنوّع اللغويّ أمرٌ ضروري" (كريستال، ٢٠٠٦: ٥٩).

ويحسب لليونسكو أنّها فتحت الباب بعد عنايتها هذه لمشروعات ومقترحات عدة لصون هذه اللغات، فكان هناك مشروع هانز روزيغ في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن، ومشروع مؤسسة فولكس فاغن لتوثيق اللغات المهددة، ومشروع المؤسسة الوطنية الأمريكية للعلوم، ومشروع جامعة كامبردج للأدب الشفاهي، وغيرها كثير (بحّة، ٢٠٢١، ٢٣١)، كما أدّت هذه العناية إلى توجيه البحوث المتعلقة باللغات العربية الجنوبية القديمة من المنهج المقارن – وهو بلا شك له ما له من أهمية، وساعد في تجلية الكثير من الغموض الذي كان يكتنفها – إلى حقل علم اللغة الاجتماعي الذي يولي عناية أكبر للعلاقة بين اللغة والمجتمع، ويُعنى بدراسة كل ما يترتب على استخدام اللغة في المجتمع (بلحاف، ٢٠٢٥: ١٥٧).

تحاول العربيات الجنوبية في سلطنة عمان اليوم تقديم نفسها إلى المجالات الجديدة والإعلام لكن بخطوات متواضعة، وهي بحاجة ماسة للتعريف بنفسها إعلاميًّا بعدّها لغة عربية قديمة، وتراثًا إنسانيًّا يستحق منّا التعريف به وحفظه، بل هي ثقافات تتميز اليوم بتراثها الإنساني الثقافي اللامادي الذي يعود أغلبه إلى حقب تاريخية قديمة.

٣. الموروث الشعبي (الفلكلور):

يشير الموروث الشعبي عادة إلى عدد من الممارسات الخاصة بشعب من الشعوب أو ثقافة من الثقافات بما فيها من فنون أداء وعروض ورقصات، وتقابله الكلمة الإنجليزية (فلكلور) التي تتألف من مقطعين هما (folk) التي تعني الشعب، و(lore) التي تعني المعرفة أو التراث. ومن الباحثين من يرى أنّ هذا الموروث يرتبط بالفنون والثقافة والفكر، وهو متشابك

ومتداخل مع الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية، وهو في حقيقته مادة غزيرة جدًّا تحمل تجارب الأمم والحضارات التي تصبّ في وعي الحاضر لفهم الواقع ورسم سبل المستقبل، وهو أيضًا صورة الماضي – الذي هو الأصل أو الأب – في الحاضر – الذي هو الابن (سعداوي، ٢٠٢٣: ٢٩١).

تحفل العربيات الجنوبية بموروث شعبيّ ضخم ومتراكم، يظهر في أشكال عدة بحسب طريقة الأداء؛ إذ يُؤدّى بعضها بصورة فردية، بينما يُؤدى الآخر بصورة جماعية، ومن هذه الفنون: رِجزيت، وريوي، والنانا، والهبوت، والبرعة، وهودي وي كريم كريم، وسامعين، ودِندنِيت، وكُورمِيت، وغيرها كثير. فمن الفنون التي لا تصلح إلّا أن تكون جماعية فنّ (رجزيت) الذي يعتمد على الترديد الرجاليّ الجماعي في الأعراس، ويترتب فيه الرجال في شكل صفين متقابلين أو أكثر، مرددين بعض الأشعار التي يلقنها إياهم شاعر من الشعراء. وكذلك فن الشرح للنساء الذي يستلزم أن يكون جماعيًّا، وهو فن الأعراس أو المناسبات السعيدة. وننوّه هنا أنّه قد تختلف بعض مسميات هذه الفنون من منطقة لأخرى، لكنّ أغلبها تُؤدى في تراث العربيات الجنوبية.

إنَّ التنوع اللغويَّ غير مخيف، وإنَّ الاختلاف الثقافيَّ لا ولن يمثل تهديدًا، بل يُظهِران العالم الذي نعيش فيه متنوِّعًا يقبل الآخر ويقبل اختلافه، وقد سخر اللغويُّ ديفيد كريستال من حجةٍ يروِّج لها مناصرو العولمة ترى أنَّ العالم سيكون أفضل لو تحدَّث الجميع لغة مشتركة.

ومن هذه الفنون فن الريوي في اللغة المهرية، وعنه قال الباحث علي محسن آل حفيظ: "فن الريوي: من الروي، وهو تجانس القافية وانسجامها، وهو من شعر المطوّلات، ومن أشعار المناجاة النفسيّة، بالغ الرقّة والرهافة، ويقابل شعر النانا في الفنون الشعريّة الشحرية" (١٩٨٩: ٧١ – ٧٢). ويندرج تحت هذا الباب الكبير – فن الريوي – عدة أنواع أو مسميات فنية يجمعها أنّها ضمن وزن واحد، منها: دندنيت، هوبليت، ليلييت، كورميت، زغيف، ووِيد ويد (الجعفري، ٢٠٢٠: ٢٤ – ٢٥). ومن هذه الفنون فن التهويدة في ولاية المزيونة، وفن الطبل للنساء، وأداء فن الطبل مشابه لفن الشرح والرجيش، فالأداء النسائي واحد، ولا اختلاف في ذلك إلّا بالاسم فقط. وهذه الفنون المذكورة جميعها على سبيل المثال والذكر، لا التحديد والحصر، ولا شكّ أنّ هناك فنونًا أخرى انقرضت أو صارت شبه منقرضة، ولم يُكتب لها الشيوع فاختفت، أو قد تؤدّى في الأماكن البعيدة كالبوادي وغيرها، ولم تصلنا تفاصيل وافية عنها (بلحاف، ٢٠٢٥: ٢٠٦ – ٢٠٧).

والشعر هو المادة الأساس لهذه الأهازيج التي لها العديد من الأغراض المتوافقة غالبا مع أغراض الشعر العربي، والأغراض الشعريّة هي المقصد من كتابة القصيدة، والهدف الذي يتناول محتواها، وإذا ما نظرنا للأغراض الشعريّة التي يتناولها الشعر في هذه العربيات فسنجدها كثيرة ومتنوّعة، وفي مقدمتها الأغراض التقليديّة المعروفة مثل: الوصف، والغزل، والمدح، والهجاء، والحكمة، والحماسة، والفخر، والرثاء (الجعفري، ٢٠٢٠: ٢٥).

وهذه الفنون جميعها بحاجة إلى توثيق وحفظ، وقد خطت الجهات الرسمية الحكومية في سلطنة عُمان خطوة متقدمة حين استطاعت أن تدرج فن (البرعة) في العام ٢٠١٠ ضمن قائمة التراث الثقافي اللامادي للإنسانية (القدس العربي، ٢٠١٣)، وهي إحدى الرقصات الشعبية الموجودة منذ القدم في ظفار بسلطنة عمان، والمهرة في الجمهورية اليمنية، وتعرف عندهم باسم (زفنيت) من الزفن وهو: الرقص، ويظهر هذا الفن في شكل رقص وغناء معًا، ويؤديه شخصان أو أربعة أو ستة أو أكثر بشرط أن يكون العدد زوجيًّا، وتكون الحركة بنوع من القفز الذي ترتفع فيه قدم وتنزل أخرى، مع إمكانية دوران المشاركين حول أنفسهم بصورة منتظمة متناسقة. وعادة ما تصاحب هذا الفن فرقة موسيقية تتألف من عازفين على الآلات – اليوم – وقارعي طبول، ويُؤدى هذا الفن في المناسبات الاجتماعية كالأعراس والأعياد ولقاءات الفرح وغيرها (بلحاف، ٢٠٢٥: ٢٠٣).

ومن المأمول أن تقوم الجهات الرسمية المختصة في سلطنة عُمان بإدراج فنون أخرى ضمن قائمة التراث الثقافي اللامادي الإنسانيّ، ومن الفنون المقترحة (فن الهُبُوت) الذي تتميّز به محافظة ظَفار، وعادة ما يُؤدى في شكل إنشاد جماعيّ شعريّ شعبيّ (زامل)، يردّده الرجال دون النساء حين ينتظمون في صفوف متتابعة، وفي كلّ صف من أربعة إلى عشرة رجال، وهذه الصفوف قد لا يتجاوز عددها العشرة وقد يزيد، ويدخل المرددون لفن الهبوت إلى مناسبة اجتماعية معينة – غالبًا ما تكون عُرسًا، وقد تكون لقاءً اجتماعيًّا – فيدورون بشكل جماعيّ عدة دورات إلى أن يتوقفوا. وهذا الفن سمة مميزة للموروث الشعبي في محافظة ظفار، وهو فن الرجولة والشجاعة والقوة هناك.

◄ ختامًا:

تحفل هذه العربيات بالكثير من أشكال التعبير الشفهي القديمة المميزة، تظهر في شكل قصص وحكايات وأشعار وأمثال وألغاز...، كما تحفل بموروث شعبيّ هو خير حامل للغة، ويظهر في العروض والرقصات وفنون الأداء الفردية والجماعية، وهذا الموروث أيضًا مهدّد بالموت والانقراض، وهو بحاجة ماسة إلى برامج توثيقية ضخمة تشترك فيها الجهات ذات العلاقة، سواء أكانت جهات حكومية، أو جامعات ومراكز بحوث، أو مؤسسات المجتمع المدني، أو أفرادا. وبالإمكان الاستفادة في ذلك من تجارب عالمية.

◄ التوصيات:

١. توصي الدراسة بضرورة إنشاء مركز بحثي إقليمي متخصص للغات واللهجات العمانية يتبع وزارة الثقافة والشباب والرياضة، تُحدد أهدافُه ومهامه وأعماله التي على رأسِها صون اللغات العمانية المهددة بالاندثار ومنها هذه العربيات الجنوبية، ودراستها دراسات علمية معمّقة، والتعريف بها في الأوساط العالمية علميًّا وثقافيًّا وإعلاميًّا، وتظهر قيمة هذا المركز الإقليمية أيضًا في توحيد جهود الباحثين العاملين في هذا الحقل، إذ يغلب عليها إلى الآن العمل الفردي، ومشروع بهذا الحجم يحتاج إلى عمل مؤسسي متخصص وفرق عمل.

٢. توصي الدراسة أيضًا الجهات المعنية بإضافة عدد آخر من أشكال الفلكلور الشعبي العماني إلى قائمة التراث الثقافي اللامادي للإنسانية، ما يعمل على حفظها وحفظ غيرها مستقبلا، وتعريف العالم بها، وتسليط الضوء عليها من قبل الباحثين دراسةً ومقارنةً. ومن الأشكال المقترحة حاليًّا فن الهُبُّوت في محافظة ظفار.

◄ المصادر والمراجع:

أولا: الكتب:

- الأزرقي، منيرة علي وآخرون، ٢٠٢٣، التنوّع اللغويّ في المملكة العربية السعودية وخطر الاندثار، ط (١)، الرياض، وزارة الثقافة السعودية بالتعاون مع مركز البحوث والتواصل المعرفيّ.
- بحّة، فتحي، ٢٠٢١، موت اللغات: قراءة سوسيو لسانية في ظاهرة موت اللغات وانقراضها، الأغواط، الجزائر، مجلة التمكين الاجتماعيّ، جامعة عمّار ثليجي، المجلد (٣)، العدد (١)، مارس.
- بلحاف، عامر فائل محمد، ٢٠٢٥، دراسات في اللغة المهرية، ط (١)، مسقط، دار مسندم والجمعية العمانية للكتاب والأدباء.
- بولعراس، الجمعي محمود، ٢٠١٦، معايير الحالة الصحية للغات وموقع اللغة العربية، فصل في كتاب (انقراض اللغات وازدهارها - محاولة للفهم)، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.
- الجعفري، عبد المجيد عوض بن عويض، ٢٠٢٠، الشعر المهري: سماته الفنية والجمالية - تركيبته العروضية وأوزانه، ط (١)، الغيضة، المهرة، سلسلة إصدارات مركز اللغة المهرية للدراسات والبحوث.
- جلال، محمود مازن، والمحمود، محمود بن عبد الله، ٢٠١٦، التوثيق اللغويّ والإحياء اللغويّ، فصل في كتاب (انقراض اللغات وازدهارها - محاولة للفهم)، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.
- آل حفيظ، علي بن محسن، ١٩٨٩، من لهجات مهرة وآدابها، مسقط، مطابع النهضة.
- سعداوي، مليكة، ٢٠٢٣، مقاربات حول أساسيات الثقافة العربية بين الموروث الشعبي والتراث والفلكلور، الجزائر، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة (١)، المجلد (١٦)، العدد (١).
- سليمان، مجدي عبد الرزاق، ٢٠١٦، قضايا تأصيلية حول انقراض اللغات وازدهارها، فصل في كتاب (انقراض اللغات وازدهارها - محاولة للفهم)، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.
- الصقير، خالد بن عبد الله، ٢٠٢٥، اللغة العربية واللغات الجنوبية في شبه الجزيرة العربية، ط (١)، مسقط، مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية.
- الصيعري، عمر محروس، ٢٠٢٤، السياسة اللغوية العمانية: الأشكال والأبعاد، ط (١)، مسقط، النادي الثقافي العماني.

- الكثيري، عامر بن أزاد بن عدلي، ٢٠٢٥، المأثورات الشعبية الشعرية في محافظة ظفار، ط (١)، مسقط، النادي الثقافي العماني.
- كريستال، ديفيد، ٢٠٠٦، موت اللغة، ترجمة: فهد بن مسعد اللهيبي، المملكة العربية السعودية، جامعة تبوك.
- المعشني، محمد بن سالم، ٢٠١٨، اللهجات واللغات العامية العمانية المعاصرة، دراسة في المفاهيم والمصطلحات والأنواع، جامعة نزوى، مجلة الخليل للدراسات اللغوية والأدبية، السنة (٣)، العدد (٥).
- المهري، محمد بن مسلم، ٢٠١٠، حكايات شعبية ظفارية: مجموعة قصصية، ط (١)، دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر.
- اليزيدي، أمين عبد الله، ٢٠٢٠، المهرة: ذكريات وخواطر وأشجان، ط (١)، الغيضة، المهرة، سلسلة إصدارات مركز اللغة المهرية للدراسات والبحوث.

ثانيًا: الصحف:

- العمانية، وكالة الأنباء العمانية، ٢٢ إبريل ٢٠٢٦:
https://omannews.gov.om/topics/ar/3/show/466514
- القدس، القدس العربي، ١٥ سبتمبر ٢٠١٣:
https://www.alquds.co.uk/

دورُ اللغةِ العربيَّة في حفظِ الموروثِ الثقافي العُماني - الأمثالُ الشعبية نموذجاً

د/ علي بن حمد بن علي الريامي
أستاذ علم اللغة المساعد، جامعة التقنية والعلوم التطبيقية بصحار

ورقة بحثيَّة أُعدَّتْ بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربيَّة، والذي تنظمه وزارة الثَّقافة والرِّياضة والشَّباب، بالتَّعاون مع مركز التَّرجمة والتَّعريب والاهتمام باللغة العربيَّة

◄ ملخص الدِّراسة

تناولت هذه الدِّراسة موضوع: دور اللغةِ العربيَّة في حفظِ الموروثِ الثقافي العُماني - الأمثالُ الشعبية نموذجا، وفيه انتهجتُ مسلك الوصف والتَّحليل، وقد سَعَت إلى تحقيق أهدافها من خلال الوقوف على دور اللغة العربية ومدى قدرتها في حفظ التراث اللغوي العُماني، عن طريق تناول مظاهر الاتِّساق في نصوص الأمثال الشعبية العُمانيَّة، ودورها في تحقيق التَّماسك والانسجام بين أجزائها، وذلك بتتبُّع كلِّ هذه المظاهر؛ للوقوف على تلك الإحالات التي كان يرمي إليها المتكلمون بها، ولمعرفة مدى أثر اللغة العربية في المساهمة في حفظ هذا النوع من الموروث الثقافي العُماني. وانطلقت إشكاليتها من خلال الإجابة عَنِ السُّؤال الآتي: ما دور اللغة العربيَّة في حفظ التراث اللغوي العُماني؟ وما أهم مظاهرِ الاتِّساق في انسجام نصوص الأمثال الشعبية التي أسهمت في تماسك أجزاء نصوصها؟

وقد كشفت الدِّراسة عن مظاهر الاتِّساق المؤدية إلى انسجام نصوص الأمثال الشعبية العُمانيَّة، عن طريق استعمال الوسائل الاتِّساقيَّة اللفظية المختلفة، وهي: الإحالة بالضمائر، والإحالة باستعمال أسماء الإشارة، والإحالة باستعمال الأسماء الموصولة، والإحالة باستعمال أدوات المقارنة. وعليه فقد ظهر جليا فاعلية استعمال وسائل الاتِّساق النَّصِّيَّة المختلفة في تحقيق الانسجام بين أجزاء نصوص الأمثال الشعبية العُمانيَّة وتماسكها، ما يؤكد الدور الكبير الذي تضطلع به اللغة العربية في حفظها للتراث الثقافي الشعبي.

الكلمات المفتاحيَّة: اللغة العربيَّة، الموروث الثقافي العُماني، مظاهر الاتِّساق، الأمثالُ الشعبية.

المقدمة

تُعدُّ اللغة العربية ركيزة أساسية من ركائز الهُوية الثقافية في سلطنة عمان، إذ لعبت دورا كبيرا في حفظ الموروث الثقافي العُماني، فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل والتفاعل، بل وعاء يحمل بين جنباته القيم والعادات والتقاليد والخصائص الحضارية لسلطنة عُمان. وقد أسهمت في الحفاظ على الموروث الثقافي العماني في ظل التحولات العالمية، بما نقلته لنا من الحكايات الشعبية والأساطير المحلية، والأشعار بنوعيها الفصيح والشعبي، ووثَّقت لنا المناسبات الاجتماعية والمشاعر المختلفة التي كانت تختلج قلوب الناس، والأمثال والأقوال التي عكست لنا الحكمة العمانية، بما نقلته من تجارب الآباء والأجداد، وشكَّلتْ وجدان وثقافة المجتمع العماني. إذ لم يقتصر دور اللغة العربية على نقل التراث الشفهي والمكتوب وحسب، بل عُدَّتِ الوعاء الكبير الذي وثَّقَ لنا هذا التراث وحفظه من الاندثار والتشتت والضياع.

وتُعدُّ الأمثال الشعبية العُمانية أحد الأشكال التعبيرية انتشارا بين أوساط المجتمع، فهي المرآة الصادقة التي عكست لنا العادات والتقاليد والقيم العمانية الأصيلة بصورة تعبيرية مختصرة، قائمة على الإيجاز والتشبيه البليغ والوضوح في تقديم المعنى وتقريبه إلى ذهن المتلقي، استطاع العمانيون من خلالها تجسيد الهُوية العمانية باعتبارها المخزون الثقافي لتلك الأجيال المتعاقبة التي أخذت تتناقلها من جيل إلى آخر، فنقلت لنا معاني الحياة وفلسفتها وتحدياتها، في قوالب لغوية أسهمت في حفظ مفردات اللغة العربية واستثمارها الاستثمار الفكري الأمثل، وهي كحال بقية الفنون الشعرية والنثرية والتجارب الإنسانية التي عايشها المجتمع العماني منذ القدم، واستطاع العقل البشري أن يقدمها في قالب لغوي جمالي، عن طريق جمل قصيرة مكثفة المعنى، تعكس الوعي والإدراك عند الإنسان العماني.

والمَثَلُ: ما يُضرب به من الأمثال[1]. وهو: التَّمَاثُل بَين الشَّيْئَيْن في الْكَلَام، وَمثله كَمَا تَقول شبهه، ثمَّ جُعِلَتْ كلُّ حِكْمَةٍ سائرةٍ أو قولا سائرا مثلا[2]. وقد سُمِّيَ المَثَلُ مثلاً؛ «لأَنَّهُ مائلٌ لخاطر الإنسان أبداً يتأسى به، ويعظ ويأمر ويزجر. فيه ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التَّشبيه»[3].

---

١ الجَوهَرِيّ، الصِّحَاحُ (١٨١٦/٥)؛ وينظر: ابن منظور، لسانُ العَرَب (٦١٠/١١)؛ والزُّبيدِيّ، تَاجُ العَرُوسِ (٣٧٩/٣٠).

٢ أبو هلال العسكريِّ، جمهرة الأمثال (٧/١).

٣ ابن رشيق القيروانيِّ، العُمدة (٢٨٠/١)؛ وينظر: نور الدين اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢٤/١).

وعليه فقد رأيت أن أتناول في دراستي: دور اللغة العربيَّة في حفظِ الموروثِ الثقافي العُماني، عن طريق تحليل الأمثالُ الشعبية العمانية؛ لأتبين مدى أهمية هذه الأمثال، ولأقف على الأثر الذي تحدثه اللغة العربية بنقلها لهذه الأمثال، كونها الوعاء الكبير الحامل لها. وفيها انتهجتُ مسلك الوصف والتَّحليل، من خلال تناول وسائل الاتساق اللغوي وأثرها في انسجام نصوص الأمثال وتماسكها، والتي تهدفُ إلى استخراج وسائل الاتِّساق المؤدية إلى انسجام النَّصِّ، بما يحقق التَّماسك النَّحوي والمعجمي في آنٍ واحدٍ[1].

◄ أهمِّيَّة الدِّراسة:

تنطلقُ أهمِّيَّة الدّراسة في أنَّ الجملة في اللغة العربيَّة تقوم على مجموعة من الأحكام التي تنظم العلاقة بين مكونات النُّصوص، من خلال أدوات الرَّبط التي تُسْهِمُ في اتِّساقها، ومن خلال تلك الأساليب اللغويَّة النَّحويَّة التي تحقِّقُ تماسك النَّصِّ بشكل يبين المعنى ويبرز الدَّلالة، وتعدُّ الإحالة بالضَّمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والمقارنة، والوصل، من أهم العناصر الاتِّساقيَّة اللفظيَّة التي توفر الاتِّساق والانسجام بين أجزاء النَّصِّ الدَّاخليَّة والخارجيَّة، إلى جانب الاختصار وتجنب التِّكرار. وعليه فأدوات الاتِّساق تسمح لمستعملي اللغة بحفظ ما تحتويه، وتجعله مستمرا في الذَّاكرة دون الحاجة إلى التَّصريح به مرَّة أخرى[2]، وكلُّ هذا يكشفُ لنا مدى سعة وقوة اللغة العربية القادرة على حفظ هذا الموروث الثقافي؛ بما اشتملت عليه من خصائص لغوية متسقة ومنسجمة استطاعت نقله من جيل إلى آخر.

◄ أهدافُ وإشكاليةُ الدِّراسة:

تأتي هذه الدِّراسة للبحث في دور اللغة العربية ومدى قدرتها في حفظ التراث اللغوي العُماني، من خلال تناول أثر مظاهر الاتِّساق في انسجام نصوص الأمثال الشعبية، ودورها في تحقيق التَّماسك بين أجزائها، وذلك بتتبُّع كلِّ هذه المظاهر؛ للوقوف على تلك الإحالات التي كان يرمي إليها المتكلمون بها. وتنطلقُ إشكاليتها من خلال الإجابة عَنِ السُّؤال الآتي: ما دور اللغة العربيَّة في حفظ التراث اللغوي العُماني؟ وما أهم مظاهرِ الاتِّساق في انسجام نصوص الأمثال الشعبية التي أسهمت في تماسك أجزاء نصوصها؟

---

١ ينظر: تركي، وعماري، الاتِّساق عند علماء العربيَّة القدماء (٨٧/٤).

٢ ينظر: الثَّقفي، الاتِّساق وأدواته في نونيَّة عمرو بن معدي كرب (٥٠٥/٩).

◄ خطة الدِّراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تبدأ بالحديث عن أهمية اللغة العربية ودورها في حفظ الموروث الثقافي، عن طريق تحليل الأمثال الشعبية العمانية نموذجا؛ للوقوف على أهم مظاهر الاتِّساق ودورها في انسجام نصوص الأمثال وتماسكها لغويا ومعجميا ودلاليا.

مظاهر الاتِّساق اللغوي، ودورها في انسجام نصوص الأمثال الشعبيَّة العُمانية

الاتِّساق: كما يعرفه (Carter) بقوله: «يبدو لنا الاتِّساق ناتجا عَنِ العلاقات الموجودة بين الأشكال النَّصِّية»[١]، فهو يهتم بتلك الوسائل اللغويَّة التي تَصِلُ بين العناصر الاتِّساقيَّة اللفظيَّة المكونة لنصٍّ معين أو جملة معينة، منها: الضَّمائر، واسم الإشارة، والاسم الموصول، ووسائل الرَّبط، كحروف العطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك. كلُّ ذلك من أجل إثبات أنَّ النَّصَّ أو الجملة لا يمكن فهمهما دون الوقوف على كلِّ هذه الوسائل المؤدِّية إلى المعنى الحقيقي الذي وُضِعَ أو قِيلَ من أجله[٢]، فالجمل المتتالية تشكِّلُ نصًّا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو أن تكون بين بعض عناصرها - على الأقل - علاقات، هذه العلاقات تربط العُنصر الاتِّساقيّ اللفظيّ بعنصر سابق أو لاحق داخل النَّصِّ أو الجملة، أو بعنصر خارج النَّصِّ. والعلاقة التي تربط العُنصر الاتِّساقيّ اللفظيّ بعنصر سابق، تسمَّى: علاقة قبليَّة. والعلاقة التي تربط العُنصر الاتِّساقيّ اللفظيّ بعنصر لاحق، تسمَّى: علاقة بعديَّة. ومن أدواته موضع الدِّراسة:

الإحالة: جاء في المحيط: «حالَ وَتْرُ القَوْسِ حِيَالاً. وأَحَالَت القَوْسُ وَتَرَها، وحالَت القَوْسُ: انْقَلَبَتْ عن حالها التي غُمِزَتْ عليها. وأَحَالَ الدَّلْوَ في الحَوْضِ: صَبَّها. وحالَ الشَّيْءُ يَحُوْلُ حُؤُوْلاً: تَغَيَّرَ»[٣]، فالإحالة عند اللغويين القلب والتَّغيير، وعند اللسانيين إحالة المتكلِّم في كلامه عن ذكر شيء بتغييره أو بقلبه أو بذكرِ شيءٍ آخر، ثُمَّ يعود إلى ذكره أو الإشارة إليه بضمير أو بأيِّ وسيلة لغويَّة أخرى مناسبة؛ لربط الكلام بعضه ببعض[٤]، وهذا يدلُّ على «العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات»[٥]، فالعناصر الاتِّساقيَّة اللفظيَّة المحيلة مهما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التَّأويل دلاليًّا، إذ لا بدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها[٦]. وللإحالة عدَّة وسائل، أهمها:

---

١ ينظر: بوقرة، المصطلحات الأساسيَّة في لسانيَّات النَّصِّ وتحليل الخطاب (ص:٨٩).

٢ ينظر: خطابي، لسانيات النَّصِّ (ص:٥)، والهواوشة، الاتِّساق في تماسك النَّصِّ (ص:٥٧).

٣ الصَّاحب ابن عبَّاد، المُحيط في اللغة (٢٥٣/١)؛ وينظر: الزَّمخشريّ، أساس البلاغة (١٠٠/١).

٤ شبل، علم لغة النَّصِّ النَّظرية والتَّطبيق (ص:١٢٤)؛ وينظر: حوحو، الاتِّساق النَّصِّيِّ في المعلَّقات (ص:٢٢).

٥ الزِّناد، نسيج النَّصِّ (ص:١١٨).

٦ ينظر: خطابي، لسانيَّات النَّصِّ (ص:١٧).

أوَّلا: الإحالة بالضَّمائر، وهي «كثيرة الشُّيوع والتَّداول في التَّرابط بين الجمل والعبارات التي تتألف منها النُّصوص»[١]، فالضَّمائر تربط النَّصَّ أوله بآخره، وتربط النَّصَّ بما يحيط به من نصوص، تكوِّن كتلة موضوعيَّة واحدة، وهذه الرَّوابط تُصوِّرُ العلاقات الدَّلاليَّة للنَّصِّ، فهي «لا تخضع لقيود نحويَّة، بل تخضع لقيود دلاليَّة، إذ تستلزم خصائص دلاليَّة بين العنصر المَحيل والمَحيل إليه»[٢]. وقد قسَّمَ العلماء الإحالة إلى مقاميَّة ونصِّيَّة، فالمقاميَّة هي كلُّ العناصر الاتِّساقيَّة اللفظيَّة التي تُحيل إلى خارج النَّصِّ، وأما النَّصِّيَّة فهي كلُّ العناصر الاتِّساقيَّة اللفظيَّة التي تُحيل إلى داخل النَّصِّ. والإحالة النَّصِّيَّة تنقسم إلى قسمين: إحالة نصِّيَّة قبليَّة: تعود على مفسر سبق التَّلفظ به. وإحالة نَصِّيَّة بعديَّة: تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص[٣]. وأمَّا وسائل الاتِّساق الإحالي، فتنقسم إلى: الضَّمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة .

ثانيا: الإحالة بأسماء الإشارة، وهي الوسيلة الثَّانية من وسائل الاتِّساق التي تُسهمُ في جعل النَّصِّ متماسكا، وهي من وسائل الإحالة النَّصيَّة التي تقوم بالرَّبط القبليّ والبعديّ[٤]، وأكثرُ ما تكون إحالتها قبليَّة؛ لأنَّها تربط عنصرا لغويا متأخرا بعنصر لغوي متقدِّم، وهي بذلك تُسْهِمُ في اتِّساق النَّصِّ[٥]. ولأنَّها أسماء مبهمة، كان من الضَّروري الوقوف عندها؛ لبيان ما تشير إليه على وجه الدِّقة، ولمعرفة أثرها في ربط أجزاء النَّصِّ الدَّاخليَّة والخارجيَّة، ولتجنب التِّكرار والسَّعي نحو الاختصار. يمكن أن تُصنَّف أسماء الإشارة حسب التَّصنيف الزَّمني أو المكاني أو القرب أو البعد، وتحدّد مواقعها في الزَّمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي تماما مثل الضَّمائر لا تُفهم إلا إذا رُبِطت بما تشير إليه[٦].

ثالثا: الإحالة بالأسماء الموصولة، وهي الوسيلة الثَّالثة من وسائل اتِّساق النَّصِّ، وهي لا تختلف كثيرا عن الضَّمائر وأسماء الإشارة في كونها إحالة نصِّيَّة؛ لافتقارها إلى صلة توضحها. فمعناه «لا يتمُّ بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتمَّ اسما، فإذا تمَّ بما بعده، كان حكمه حكم سائر الأسماء التَّامَّة»[١]، فالاسم الموصول وحده مبهم وناقص الدَّلالة، ولا

---

١ خليل، في اللسانيَّات ونحو النَّصِّ (ص:٢٢٧).

٢ خطابي، لسانيَّات النَّصِّ (ص:١٧).

٣ ينظر: الزِّناد، نسيج النَّصِّ (ص:١١٨).

٤ ينظر: نفسه.

٥ لاينز، اللغة والمعنى والسِّياق (ص:٢٤٦)؛ وينظر: الفقي، علم لغة النَّصِّ بين النَّظرية والتَّطبيق (ص:١٣٨).

٦ ينظر: خطابي، لسانيَّات النَّصِّ (ص:١٩).

بدَّ من صلة تُتَمِّمُ معناه، ويمُكنُ تفسيره عن طريق التَّوصِّل إلى ما يُحيل إليه. وتُعدُّ الأسماء الموصولة أقرب إلى أسماء الإشارة في المدى الإحالي والسِّعة الإحاليَّة[٢].

رابعا: الإحالة بأدوات المقارنة، وهي الوسيلة الرَّابعة من وسائل اتِّساق النَّصِّ، وهي لا تختلف كثيرا عن الضَّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة في كونها إحالة نصِّيَّة؛ لمعرفة ما تشير إليه، وهي بذلك تقومُ بوظيفة اتِّساقيَّة تُسهِمُ في انسجام أجزاء النَّصِّ، من خلال وجود عنصرين يُقارن بينهما؛ «لكسر القيد الدَّلاليّ عن المشبه وفتحه على احتمالات الدَّلالة التي يقدمها المشبه به»[٣].

ولأهمية الاتِّساق في عملية بناء النُّصوص أو الجمل والعبارات، سأتناول في هذه الدِّراسة أهم مظاهر الاتِّساق اللغوي ودورها في انسجام الأمثال الشعبية العُمانية؛ للوقوف على مظاهر تلاحمها، وتحقيقا لنصِّيتها، ومدى قوة التأثير وإقناع المتلقي، ودور اللغة العربية في حفظها. فأيُّ نصٍّ «يرتكز بناؤه على مجموعة من العلاقات الدَّلالية تتجلى بين متواليات، وتتلاحم في بناء منطقي مُحكم، سواء ذلك على مستوى البنية السَّطحية، أو البنية العميقة»[٤].

تحليل نصوص وعبارات الأمثال الشعبية العمانية:

أولا: من نماذج مِنَ الإحالة بالضمائر، نصُّ المثل: «أحابي حمدْ لجْلْ عْيِنْ مْحمَّدْ»[٥].

والمحاباةُ: من «حاباهُ مُحاباةً وحِباءً؛ أي: نَصَرَه، واخْتَصَّهُ، ومالَ إليه»[٦] وكلمة «لجْلْ» تعني: لأجل. يُشيرُ المثل إلى أولئك الذين يستعملون المحاباة في علاقاتهم؛ بُغية تحقيق بعض الأغراض الشخصية أو الذاتية، فيحاولون التقرب من أي شخص له مكانة عالية في المجتمع؛ رغبة في استغلاله واستغلال مكانته ومنصبه، فإذا تحقق ما يرغبون إليه، ابتعدوا عنه، وإن حدث وفقد مكانته ومنصبه، تنكروا له وتناسوا فضله عليهم[٧].

يتبين لنا عند النظر في المثل السابق أنَّ الإحالة بالضمير تعمل بشكل مباشر للربط بين العنصر الاتِّساقي اللفظي وتكوين الانسجام الدلالي بين المضامين، فقوله: «أحابي»، عنصر لغويٌّ محيل إلى عنصر لغوي يشيرُ إلى إحالةٍ خارج النَّصِّ، توصَّلنا إليها من خلال العنصر الاتِّساقي الدَّال على ضمير المتكلم «أنا» الذي يُفهم منَ السِّياق، يقودنا إلى معرفة العنصر

---

١ ابن يعيش، شرح المُفصَّل (٢/٣٧١).

٢ ينظر: الهواوشة، الاتِّساق في تماسك النَّصِّ (ص:٨٧).

٣ الجزَّار، الخطاب الشِّعريّ عند محمود درويش (ص:١٦٤).

٤ عيسى، النَّصُّ الشِّعريّ وآليَّات القراءة (ص: ١١).

٥ الحميدي، أقوال عُمان لكلِّ الأزمان (١/٤١)؛ وينظر: الرواحي، معجم الأمثال العُمانية الشَّعبيَّة (ص:٥١).

٦ ابن منظور، لسانُ العَرَب (١٤/١٦٣)؛ وينظر: الفَيرُوزآبَادِي، القَامُوسُ المُحِيطُ (ص:١٢٧٢)؛ والزُّبيدِيّ، تَاجُ العَرُوسِ (٣٧/٣٩٤).

٧ ينظر: الحميدي، أقوال عُمان لكلِّ الأزمان (١/٤١).

المقصود بالإحالة وهو «المُتكلِّم»، فهو لم يُصرح باسمه، وإنَّما اكتفى باستعمال ضمير المتكلِّم، فاستعمل العنصر الاتِّساقي اللفظي المحيل للدَّلالة على المتكلم نفسه، وأسنده إلى أداة جعلت النَّص أكثر انسجاما واختصارا. وعليه فإن للضَّمير دلالة اصطلاحيَّة، وضمير المتكلِّم: «أنا»، له دلالة اصطلاحيَّة واحدة وثابتة، وهي دلالته على موجِّه الرسالة، وكذلك فإنَّ متلقيها واحد هو المخاطب «أنت».

وعليه فالضمائر تُسهِمُ في نقل الأدوات التَّركيبيَّة في النَّصِّ إلى علاقات دلاليَّة تجعلُ بناء النَّصَّ متماسكا، وتجعلُ أحداثه المختلفة والمتنوعة ترتبط ارتباطا وثيقا مع بعضها، فتُشكِّلُ بناءً نصِّيًّا مرتبطا بموضوعها. إنَّ المتأمل في الإحالة بالضَّمائر، يجدُ أنَّها تعتمدُ على معرفة ما يحيط بها من ظروف خارجيَّة تجعلُ المُتكلِّمَ ينسج عبارته وفق قالب أدبي فني بديع، وهذا يؤكد على متانة وقوة التَّراكيب اللغويَّة النَّصِّية التي تتماسك باستعمال بعض العناصر الاتِّساقيَّة اللفظيَّة المحيلة كالضَّمائر، والتي تربط عنصر لاحق بعنصر سابق، وهي الفكرة التي نادى بها الجرجاني في نظريته نظرية النَّظْم.

ثانيا: من نماذج الاتِّساق المُعجمي عن طريق التِّكرار، نصُّ المثل: «غُمْ النِّسَاء بالنِّسَاء، والحاسدين بالكِسَاء»[1].

وهذا المثل يُستعملُ في سياق التعامل مع الغيرة والحسد بين النِّساء؛ أي: إنْ شعرت امرأة بالغيرة من امرأة أخرى، يمكن معالجة هذا الشعور بإحضار امرأة أخرى، أو بعقد مقارنة بينها وبين امرأة أخرى، وهذا الأمر يجعل المرأة تراجع نفسها؛ لتترك غيرتها. ويقول: يُمكن مواجهة الحاسدين بإظهار النعمة أمام الحاسد، وهو نوع من أنواع كبح جماح الحاسد بإظهار تمام النِّعَم أمامه لا بكتمانها.

يتبين لنا عند إمعان النظر في المثل السَّابق، أنَّ من وسائل الاتِّساق النَّصِّي التِّكرار، فقوله: «النِّسَاء بالنِّسَاء»، تكرار له دلالات بلاغية تشير إلى التَّخصيص والتوكيد، فالتكرار يلفت الانتباه إلى الفئة المقصودة بالكلام، ويشير إلى أهمية مواجهة غيرة النِّساء بما يُمكن أن يكون رادعا لها، وهو مواجهتها من جنسها؛ أي: لا يمكن إشغال فكر المرأة إلا بامرأة أخرى، ويؤكد أن الحل ينبع من نفس الذات. ويُمكن أن يكون هذا التِّكرار تأكيدا على أن الغيرة غالبا ما تظهر بين النساء، فيكون تكرار اللفظ إشارة إلى تكثيف المعنى أو الإيحاء بكثرة وقوعه بين فئة معينة.

ثالثا: من نماذج الإحالة باستعمال أسماء الإشارة، نصُّ المثل: «أنَا من يَدِّكْ هذي إلى يَدِّكْ هذي»[1].

يُطلقُ هذا المثل كناية عن الطَّاعة المطلقة والتَّسليم التَّام لشخص معين، إمَّا لإظهار الولاء التَّام

---

١ الرواحي، معجم الأمثال العُمانية الشَّعبيَّة (ص:١٢٧).

بقصد الثَّقة، أو للتعبير عن استعداد المرء لفعل ما يحبه ذلك الشخص. ويُمكن أن يكون ذلك طواعية، ويُمكن أن يكون بالإكراه، وهذا يعني الاستسلام الكامل للمتحدث بوضع أمره تحت تصرف الطرف الآخر، يقلبه كيفما يريد وأنَّى شاء.

يتبين لنا عند إمعان النظر في المثل السَّابق، أنَّ الإحالة يُمكنُ أن تكون إشاريَّة تدلُّ على تعيين المدلول، وهي إشارة مبهمة تحتاج إلى معرفة المشار إليه ليكتمل معناها، ومعرفة درجة قربه وبعده مِنَ المتكلِّم، والإحالة الإشاريِّة وسيلة من وسائل الاتِّساق والانسجام النَّصِّي. فقول المُتحدث: «هذي»، إحالة إشاريَّة إلى شيءٍ ماديٍّ سبق ذكره، وهي: اليد، تتضح دلالتها من خلال السِّياق. إنَّ توظيف الإحالة الإشاريَّة يأتي لتقوية المعنى وجذب الانتباه لدى السَّامع، مما يُسْهِمُ في انسجام أجزاء النَّص الصغرى، وتماسكها مع الأجزاء الكبرى للمثل، من خلال توصيل معنى كثير بكلمات قليلة.

رابعا: من نماذج الإحالة باستعمال أدوات المقارنة، نصُّ المثل: «اْلِبْنَاوْ الزّينْ كما هُولَهْ فِلْعينْ»[1].

واْلِبْنَاوْ: ابن أو بنت الزوجة أو الزوج السابق أو الزوجة السابقة[2]، وقِيلَ: مَن هو ليس ابني ولكن يقرب نسبا لأبنائي[3]. والهُولَهْ: القشة[4] أو القطعة من الخشبة تكون صغيرة جدا. وكلمة فِلْعينْ: في العين. وقصة المثل أن الرجل قد يتزوج من امرأة مُطلقة، أو أرملة وعلى ذمتها أبناء، وهؤلاء هم البناو بالنسبة إلى الرجل، والعكس كذلك لو كان للرجل أبناء، فهم البناو بالنسبة إلى المرأة. فالنظر إلى هؤلاء الأبناء من قبل الطرف الآخر غالبا ما تكون نظرة غير طيبة؛ نظرا للشعور بأنَّ وجودهم يسبب في إزعاج للطرفين من حيث الخلوة التامة في كل الأوقات، فوجودهم يشكل مصدر إزعاج وقلق، ناهيكم عن أهمية العناية بهم وتربيتهم التربية الصالحة، كما لو كانوا أبناء حقيقين لهم.

يتبين لنا عند إمعان النظر في المثل السَّابق، أنَّ الإحالة يُمكنُ أن تكون باستعمال أدوات المقارنة، وهي نوع من وسائل الاتِّساق الإحالي، تقومُ بوظيفة اتِّساقيَّة تُسهمُ في انسجام أجزاء النَّصِّ، من خلال المقارنة بين عنصرين، ففي المثل: «اْلِبْنَاوْ الزّينْ كما هُولَهْ فِلْعينْ»، يعقدُ مقارنة بين وجود الأبناء في الحياة الزوجية لدى طرف – سواء للرجل أو للمرأة – من زوج سابق، وبين وجود قطعة صغيرة من خشب أو نحوه في العين، والتي تشكِّلُ إزعاجا وقلقا يُمكن أن يتطور فيصبحُ مرضا أو قد يُسببُ تلفا في العين.

---

١ العجيلي، والعليان، ظفار أمثال وأقوال (ص:٥٣).

٢ الحميدي، أقوال عُمان لكلِّ الأزمان (١/١٣٤).

٣ ينظر: نفسه.

٤ الجامعي، قاموس الفصاحة العُمانيَّة (ص:٤٨).

٥ ينظر: نفسه.

خامسا: من نماذج الإحالة باستعمال الاسم الموصول، نصُّ المثل: «اللِّي مَا تَعْرَفْ تِدُورْ تُقُولْ الْمْدَارَهْ ضَيَّقَهْ»[1].

وهذا المثل يُستعمل عند الحديث عن الإنسان الذي يخفق أو يعجز عن أداء مهمة معينة، فيجد لوما شديدا على تقصيره وإخفاقه. وفي ذلك إشارة إلى أولئك الذين يتظاهرون بأنَّهم يمتلكون المهارة، لكنَّهم عندما يوضعون في الأمر الواقع يفشلون في تأديته، ولا يكفي أن يُشار إلى عدم كفاءتهم، بل يلامون على ذلك.

يتبين لنا عند إمعان النظر في المثل السَّابق، أنَّ الإحالة يُمكنُ أن تكون بواسطة الاسم الموصول، وهو من الألفاظ التي تخلو منَ الدَّلالة المستقلة؛ إذ يُفهم معناه من خلال السِّياق الذي يردُ فيه، وعمله كعمل اسم الإشارة من حيث دلالته المستقلة. والإحالة بالاسم الموصول وسيلة من وسائل الاتِّساق والانسجام النَّصِّي بين العبارات والتَّراكيب، عن طريق الإحالة التي تُفهم من السِّياق المرتبط بما يأتي بعده من ألفاظ، مُشكِّلا نمطا من الرَّبط بين الكلام السَّابق واللاحق للنَّصِّ. فالاسم الموصول يعمل على ربط الجمل بعضها ببعض، من خلال إشارته إلى المقصود من الكلام، ويعمل على تفاعل القارئ مع النَّصِّ بشكل متتابع يوجه الانتباه إلى الفكرة الرَّئيسة للنَّصِّ، وينظمُ عملية الانتقال إلى الأفكار الجديدة بسلاسة ووضوح.

وقد جاء في المثل كلمة: «اللِّي، بمعنى التي»، وهي إحالة إشاريَّة تتضح دلالتها من خلال السِّياق؛ وإن كان المثل يُستعملُ غالبا للدَّلالة على الإخفاق الذي قد تقع فيه المرأة في بعض الأحيان، إلا أنَّه يُستعملُ كذلك للإشارة على الإخفاق الذي قد يقع فيه الرجل. وعليه فالسِّياق أبان عن الإبهام المتعلِّق بالعنصر الاتِّساقيَّة اللفظيَّ: «اللِّي»، من خلال فهم المقصود به، عن طريق ربط معناه اللاحق بالمعنى السَّابق.

---

١ العجيلي، والعليان، ظفار أمثال وأقوال (ص:٤٤).

سادسا: من نماذج الإحالة القبليَّة، نصُّ المثل: «سارتْ تبْغى قَرْنِيْن جاتْ بْلاذْنِيْن»[١].

تبْغى: تطلب[٢]. وبْلاذْنِيْن: دون أذنين[٣]. يُشيرُ المثل إلى أنَّ الإنسان قد يسعى في طلب الرزق، ولكنَّ نصيبه يكون عدم التَّوفيق وسوء الحظ. وهو مَثَلٌ يُستعملُ للسخرية أو للتَّهكم ممن يسعى كثيرا، ويكون هدفه الطمع في الكسب السريع. وقد استعمل المثل كلمة: «قَـرْنِيْن»، كناية عن الشيء الزائد؛ أي: ذهبت تطلب الكثير وعادت بأقل من القليل. وقد تكون كلمة: «قَرْنِيْن»، كناية عن القوة أو التميز في الحصول على المطلوب، دون أن يضع الطالب في حسبانه الخسارة، في إشارة إلى أنَّ مَن يسعى للحصول على شيءٍ إضافي دون مقابل، فإنَّ مصيره الخسارة وفقدان ما طلب.

يتبين لنا عند إمعان النظر في المثل السَّابق، أنَّ من نماذج الإحالة أن تكون قبليَّة، وهي التي يُراد بها توظيف كلمة أو جملة تشير إلى كلمة أخرى أو جملة أخرى سابقة في النَّصِّ[٤]، فالألفاظ التي بمقتضاها تُحيل اللفظ المستعمل في النَّصِّ إلى عنصر لغوي سبق ذكره، وهي بذلك تُسهمُ في انسجام أجزاء النَّصِّ، وجعله أكثر منطقية. بالإضافة إلى ربط أفكار النَّصِّ وجعله كتلة دلاليَّة واحدة بأفكار متسلسلة متتابعة. وتعمل كذلك على تجنب التِّكرار بغية الاختصار. ومن نماذجها في المثل: «سارتْ، تبْغى، جاتْ»، وهي أفعال جاء فاعلها ضميرا مستترا، تقديره: هي؛ للدَّلالة على المرأة أو مَن يُمكن أن يكون مكانها.

سابعا: من نماذج مِنَ الإحالة البعديَّة، نصُّ المثل: «لا بالْمُوتْ هَذْرَه، وْلا بِالْفقْر عارْ»[٥].

يُشيرُ المثل[٦] إلى أنَّ كلَّ حيٍّ مآله الموت، وكلَّ موجودٍ مآله الفناء إلا وجه الله، ولذلك على الإنسان أن يتعظ، ولا يجعل من الموت ذريعة للشماتة أو التَّشفي من الآخرين، أو أنْ يكون الموت مدعاة إلى الفرح والسرور؛ بهدف الحصول على الميراث. وكذلك الحال بالنسبة إلى الفقر، فهو ليس عارا أو عيبا، وهو ليس مدعاة أن يكون نقيصة على أصحابه.

يتبين لنا عند إمعان النظر في المثل السَّابق، أنَّ من نماذج الإحالة أن تكون بعديَّة، وهي التي يُراد بها: توظيف كلمة أو جملة تشير إلى كلمة أخرى أو جملة أخرى تُستعمل لاحقا في النَّصِّ، فالألفاظ التي بمقتضاها تُحيل اللفظ المستعمل في النَّصِّ إلى عنصر لغوي سيأتي ذكره،

---

١ الحميدي، أقوال عُمان لكلِّ الأزمان (١٥/٢).

٢ ينظر: الجامعي، قاموس الفصاحة العُمانيَّة (ص:٤٤).

٣ ينظر: الحميدي، أقوال عُمان لكلِّ الأزمان (١٥/٢).

٤ ينظر: بوقرة، المصطلحات الأساسيَّة في لسانيَّات النَّصِّ وتحليل الخطاب (ص:١٧)؛ وفارساني، آليات التَّماسك النَّصِّي في شعر سمير العُمَريّ (٦/١١).

٥ الحميدي، أقوال عُمان لكلِّ الأزمان (١٥/٣).

٦ ينظر: نفسه.

وهي بذلك تُسهمُ في انسجام النَّصِّ[1]وتماسكه. ومن نماذجها في المثل: «لا بالْمُوتْ هَذْرَه»، فقد تأخر اسم لا النَّافية للجنس: «هَذْرَه»، وتقدَّم خبرها: «بالْمُوتْ». ويمُكن أن يكون: «هَذْرَه» مبتدأ مؤخر، و«بالْمُوتْ»: خبر مقدم. وكذلك الحال بالنّسبة إلى الشّطر الثّاني: «وْلا بِالْفقْر عارْ»، فقد تأخر اسم لا النَّافية للجنس: «عارْ»، وتقدَّم خبرها: «بِالْفقْر». ويمُكن أن يكون: «عارْ» مبتدأ مؤخر، و«بِالْفقْر»: خبر مقدم. وعليه فقد ارتبطت التَّراكيب اللغوية بعضها ببعض؛ لأنَّ معناها يتحقق عند اكتمال أركان الجملة.

ثامنا: من نماذج مِنَ الإحالة المقاميَّة، نصُّ المثل: «لا تِفْسِلْ الصّريمَهْ، وْلا تأخُذْ الْحريمَهْ»[2].

والصّريمَهْ: مُصغر صَرْمَه، وهي الفسيلة من النَّخيل[3]. والصَّريمَة: عود يُجعلُ على الجدي لكي لا يرضع[4]، وكذلك: ما يُوضعُ على أنف الفرس لكيلا يجمح[5]. والصَّرْمَة: صغير النَّخل[6]، والجمع: صَرم[7]. والصِّرام: وقت قطع الثَّمر[8]. والصَّرْماء: الأرض التي لا ماء بها[9]. وكأنَّ لفظ الصَّرمة يُطلقُ على الفسيلة التي تكون جاهزة للثمر، عكس الصّريمة التي تُطلقُ على الفسيلة غير الجاهزة للثمر؛ لصغرها. والْحريمَهْ: مصغر حُرمه، وهي المرأة، والمقصود بها: القاصر التي لم تبلغ سن الزواج، وهي أيضا المرأة الجاهلة، أو الطائشة التي لا يُعتمدُ عليها . يُشيرُ المَثَل إلى أنَّ فسل الصريمة كالزواج من الحريمة، فكلاهما قاصر، الأولى عن الغرس والأخرى عن الزواج. ومَن يُقدم على هذا التصرف فهو مغامر، ولا ضمان لنجاحه .

يتبين لنا عند إمعان النظر في المثل السَّابق، أنَّ من نماذج الإحالة أن تكون مقاميَّة، وهي التي يُراد بها: الألفاظ التي بمقتضاها تُحيل اللفظ المستعمل في النَّصِّ، إلى شيء موجود خارجه، وهي بذلك تُسهمُ في تماسك النَّصِّ وربط لغته بسياق المقام . ففهم المعنى يكون عن طريق الإشارة بشيءٍ يدلُّ على المقام أو الوضع الذي يتمُّ فيه الكلام، وعليه فهي تتعلق باستعمال التراكيب اللغوية التي تحتاج إلى سياق معين؛ لفهم المراد منها. من نماذجها في المَثَل: «لا

---

١ ينظر: بوقرة، المصطلحات الأساسيَّة في لسانيَّات النَّصِّ وتحليل الخطاب (ص:١٧)؛ وفارساني، آليات التَّماسك النَّصِّي في شعر سمير العُمَريّ (٦/١١).

٢ الحميدي، أقوال عُمان لكلِّ الأزمان (٣٢/٣).

٣ ينظر: الحميدي، أقوال عُمان لكلِّ الأزمان (٣٢/٣).

٤ ينظر: الحارثي، إزاحة الأعيان عن لغة أهل عُمان (ص:٨٦).

٥ ينظر: نفسه.

٦ ينظر: البطاشي، المصطلحات العُمانيَّة الواردة في التَّمهيد (٣٣٥/١٥).

٧ ينظر: الراشدي، ألفاظ الحضارة العُمانية في الكتب الفقهية (ص:٢٢٤).

٨ ينظر: الرُّبعيّ، الأمالي العُمانيَّة (ص:١٥٤).

٩ ينظر: ابن الذَّهبي، الماء (٤٤١/٢).

تِفْسِلْ»، الفاعل ضمير مستتر وجوبا، تقديره: «أنت»، وكذا الحال بالنسبة إلى الشطر الثاني: «وْلا تأخُذْ»، الفاعل ضمير مستتر وجوبا، تقديره: «أنت». وهي إحالات تعود إلى خارج النَّصِّ، دالة على المتلقي.

◄ الخاتمة ونتيجة البحث:

إنَّ المتتبّع لعلاقات العناصر الاتِّساقيَّة اللفظيَّة التي استعملها المتكلمون بالأمثال الشَّعبيَّة العُمانيَّة، يجدها قد ارتبطت بقصتها ارتباطا وثيقا، فقد استطاعوا أن يُقدِّموا لنا نصوصا متَّسقة تُشكِّلُ وحدة لغوية واحدة قابلة للتَّحليل، بما حملته من دلالات ومعانٍ جاءت منسجمة ومتماسكة؛ نظرا لتوظيفها وسائل الاتِّساق المختلفة. وعليه فقد ظهر جليا فاعلية استعمال وسائل الاتِّساق النَّصِّيَّة في تحقيق الانسجام بين أجزاء نصوص الأمثال الشّعبيَّة العُمانيَّة. ما يؤكد الدور الكبير الذي تضطلع به اللغة العربية في حفظها للتراث الثقافي الشعبي، والدور الأكبر الذي تقوم به الأمثال الشّعبيَّة العُمانيَّة، من خلال حفظها وتوثيقها للتَّجارب الإنسانيَّة التي مرَّت على أبناء المجتمع، فهذه الجمل القصيرة قد اختزلت معاني كثيرة، شهدت على تلك المواقف والأحداث التي قِيلت من أجلها، وصِيغت في قوالب لغوية بلاغية حملت قصصا وفكرا لحقبة زمنية معينة، نقلت إلينا تلك الثقافة الشعبية التي عكست طبيعة حياة الناس، والمعتقدات التي يعتقدونها، فقدمت لنا نماذج حياتية يُحتذى بها في مواقف عديدة.

المصادر والمراجع

- البطاشيّ، حارث بن محمَّد بن شامس، المصطلحات العُمانيَّة الواردة في التَّمهيد، مكتبة الشَّيخ محمَّد بن شامس، مسقط، سلطنة عُمان. طباعة: دار الهلال العالميَّة، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٣١-٢٠١٠.
- بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النَّص وتحليل الخطاب، دار عالم الكتب الحديث، ودرا جدارا للكتاب العالمي، عمَّان، الأردن، ط١، ١٤٢٩-٢٠٠٩.
- تركي، الطَّاهر، وعماري، عزّ الدين، الاتِّساق عند علماء العربيَّة القدماء، مجلة العُمدة في اللسانيَّات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، الجزائر، المجلد: (٤)، العدد: (١)، ١٤٤٢-٢٠٢٠.
- الثَّقفيّ، سعاد بنت فريح، الاتِّساق وأدواته في نونيَّة عمرو بن معدي كرب الزُّبيديّ، مجلة العلوم الشَّرعيَّة واللغة العربيَّة، جامعة سطَّام بن عبد العزيز، السُّعوديَّة، المجلد: (٩)، العدد: (٨)، ١٤٤٠-٢٠١٩.
- الجامعيّ، أبو القاسم محمود بن حميد، قاموس الفصاحة العُمانيَّة، دار إحياء التُّراث، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥-٢٠٠٤.
- الجـزَّار، محمَّد فكري، الخطاب الشِّعريّ عند محمود درويش، دار إيتراك، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢١-٢٠٠١.
- الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابيّ (ت:٣٩٣هـ)، الصِّحاح تاج اللغة وصِحَاح العَرَبيَّة، تح: أحمد عبد الغفُور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٧-١٩٨٧.
- الحارثيّ، سعيد بن حمد بن سليمان (ت:١٤٣٠هـ)، إزاحة الأعيان عن لغة أهل عُمان، تح: أحمد الرَّاشديّ وحمود العيسريّ، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣١-٢٠١٠.
- الحميديّ، خليفة بن عبد الله، أقوال عُمان لكلِّ الأزمان، المطابع العالمية، رُوي، سلطنة عُمان، ط١، ١٤٠٦-١٩٨٦.
- حوحو، صالح، الاتِّساق النَّصِّي في المعلقات، رسالة دكتوراة، جامعة محمَّد خيضر، الجزائر، ١٤٣٦-٢٠١٥.
- خطَّابي، محمَّد، لسانيَّات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثَّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١-٢٠٠١.
- خليل، إبراهيم، في اللسانيَّات ونحو النَّص، دار المسيرة، عمَّان، الأردن، ط١، ١٤٢٧-٢٠٠٧.

- ابن الذَّهبيّ، أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد الأزديّ الصُّحاريّ (ت:٤٥٦هـ)، الماء، تح: هادي حسن حمّودي، وزارة التُّراث والثَّقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط٢، ١٤٣٦-٢٠١٥.
- الرَّاشديّ، محمَّد بن يحيى بن سفيان، ألفاظ الحضارة العُمانيَّة في الكتب الفقهيَّة، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٩-٢٠١٨.
- الرُّبعيّ، عيسى بن إبراهيم (ت:٤٨٠هـ)، الأمالي العُمانيَّة، تح: حسن هادي حمودي، وزارة التُّراث القومي والثَّقافة، مسقط، سلطنة عُمان، ط١، ١٤١٣-١٩٩٢.
- ابن رشيق القيروانيِّ، أبو عليّ الحَسَن بن رشيق (ت:٤٦٣هـ)، العُمدة في محاسن الشِّعر وآدابه، تح: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠١-١٩٨١.
- الرَّواحيّ، سالم بن محمَّد، معجم الأمثال العُمانيَّة الشَّعبيَّة، مكتبة الضَّامري، السِّيب، سلطنة عُمان، ط١، ١٤٣٤-٢٠١٣.
- الزُّبيديّ، أبو الفيض محمَّد بن محمَّد (ت:١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القامُوس، تح: مجموعة من المُحققين، دار الهداية، الجزائر، ١٤٣١-٢٠١٠.
- الزَّمخشريّ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت:٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تح: محمَّد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩-١٩٩٨.
- الزِّناد، الأزهر، نسيج النَّص، ط١، المركز الثَّقافي العربي، القاهرة، مصر، ١٤١٤-١٩٩٣.
- شبل، عزَّة، علم لغة النَّصِّ النَّظرية والتَّطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٨-٢٠٠٧.
- الصَّاحب بن عبَّاد، أبو القاسم إسماعيل بن عبَّاد (ت:٣٨٥هـ)، المُحيط في اللغة، تح: محمَّد حَسَن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤-١٩٩٤.
- العجيليّ، محمَّد بن أحمد فرج، والعليان، خالد بن أحمد محمَّد، ظفار أقوال وأمثال، طبعة خاصَّة بالمؤلفين، سلطنة عُمان، ط١، ١٤١٨-١٩٩٧.
- عيسى، فوزي، النَّصُّ الشِّعري وآليات القراءة، دار المعرفة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، مصر، ط١، ١٤٢٧-٢٠٠٦.
- فارساني، عبَّاس يداللهي، آليات التَّماسك النَّصِّيِّ في شعر سمير العُمَري، مجلة الأكاديمية للدِّراسات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف، الجزائر، المجلد: (١١)، العدد: (٢)، ١٤٤٠-٢٠١٩.
- الفقيّ، صبحي إبراهيم، علم لغة النَّصِّ بين النَّظريَّة والتَّطبيق، دار قباء، القاهرة، مصر، ١٤٢١-٢٠٠٠.

- الفيروزآباديّ، مجد الدِّين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب (ت:٨١٧هـ)، القامُوس المُحيط، تح: مكتب تحقيق التُّراث، إشراف: محمَّد نعيم العرقسُونيِّ، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦-٢٠٠٥.
- لاينز، جون، اللغة والمعنى والسِّياق، ترجمة: عبَّاس صادق الوهَّاب، دار الشِّؤون الثَّقافية العامَّة، بغداد، العراق، ط١، ١٤٠٧-١٩٨٧.
- ابن منظور، جمال الدِّين أبو الفضل محمَّد بن مكرم (ت:٧١١هـ)، لسان العَرَب، تح: مجموعة من المُحققين، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤-١٩٩٤.
- نور الدِّين اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود (ت: ١١٠٢هـ)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمَّد حجي ومحمَّد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠١-١٩٨١.
- أبو هلال العسكريِّ، الحَسَن بن عبد الله بن سهل (ت:٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨-١٩٨٨.
- الهواوشة، محمود، الاتِّساق في تماسك النَّصِّ «سورة يوسف مثالا»، دار الرَّنيم، عَمَّان، الأردن، ط١، ١٤٣٧-٢٠١٧.
- ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش (ت:٦٤٣هـ)، شرح المُفصَّل للزَّمخشريّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠١.

نحو مستقبل لغويٍّ شامل:
العربية بين الابتكار التقني ورهان السياسات التعليمية والإعلامية والتقنية في سلطنة عمان

د. فوزية بنت سيف بن علي الفهدية

◄ المقدمة

تُعدُّ اللغة العربية ركيزة أساسية للهوية الثقافية والاجتماعية في العالم العربي، وهي لغة القرآن الكريم وأداة للتواصل بين أكثر من ٤٠٠ مليون ناطق بها، وتعدّ اللغة الوطنية المتمثلة في اللغة العربية لسائر دول الوطن العربي من الهُويّات الكبرى التي تساوي بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات، وفي تكافؤ الفرص، إذ لا يمكن أن يتحول المجتمع من مجتمع متجانس إلى مجتمع منتج مبدع ومتطور بدون لغة وطنية موحدة وجامعة؛ لأن اللغة هي البوابة التي تمكن المشاريع والبرامج والسياسات من النجاح.

وقد جاء في مقدمة (الوثيقة العربية للأمن الوطني واللغوي في الدول العربية)[1] أنّ " الأمن اللغوي هو أهم الأسس التي يقوم عليها الأمن الوطني، فالدول تعتمد على اللغة في تعزيز الوحدة الوطنية، وتكافؤ الفرص والعدالة والمساواة بين فئات المجتمع المتنوعة، وبها تشكّل الهويّة الوطنيّة والثقافيّة لدى المواطنين" ومن هذا المنطلق وجب أن تكون اللغة هي أداة الإدارة وسوق العمل والتعليم والإعلام والدين، وأن تعمّم على المؤسّسات والمجالات الحيوية التي تتعلّق بالأمن الشامل للمجتمع والدولة، فباللغة يعاد إنتاج المجتمعات، ويتحقق هدف المحافظة على الأجيال القادمة من الذوبان في مشاريع خارجيّة أو داخليّة، تهدد الأمن والوحدة الوطنية، وتفصلهم عن الثوابت والمرجعيات الوطنية والتاريخية التي ينتمون إليها.

وفي ظل التحديات الرقمية القائمة والعولمة، تبرز الحاجة إلى إيجاد مسارات مبتكرة تضمن بقاء اللغة حية ومتطورة، إذ أننا نشعر بما لا يدع مجالا للشكّ أننا بإزاء وجود أزمة كبيرة تواجه اللغة العربية على جميع المستويات. هذه الأزمة ليست أزمة لغة، بل هي أزمة أمّة، فقد لوحظ أن أغلب الدول العربية ليس لديها سياسات لغوية، تشرّع وتقنّن وتنظّم الوضع اللغويّ، لتحافظ على الولاء والانتماء والهُويّة لدى أفراد المجتمع، بهدف حمايتهم من المؤثّرات الأجنبيّة التي تستهدف عقولهم وأفكارهم ووحدتهم وهويّتهم وتاريخهم ورموزهم، وثقافتهم وسيادتهم واستقلالهم.

---

١ الوثيقة العربية للأمن الوطني واللغوي في الدول العربية، دبي- الإمارات العربية المتحدة/ ٧- ٩ ربيع الآخر ١٤٤٦هـ الموافق ١٠-١٢ أكتوبر ٢٠٢٤

نقصد بالمسارات المبتكرة السير في طرح اتجاهات أو طرق جديدة وغير تقليدية لتطوير وتعزيز استخدام اللغة العربية في المستقبل، هذه المسارات تهدف إلى مواجهة التحديّات الحديثة المتعلّقة بـ(العولمة والرقمنة وتراجع الاهتمام باللغة العربية في بعض المجتمعات) من خلال أفكار ووسائل مبتكرة تشمل التعليم والإعلام والتقنية، وذلك لتعزيز العربية في التعلم الرقمي والتكنولوجيا ، وتطوير المحتوى الرقمي وتعزيز حضور العربية في الإعلام والمنصات المختلفة، والاهتمام باللهجات ودراستها وتعزيز البحوث والدراسات اللغوية وغيرها من المسارات التي تكفلها السياسات وتعززها الممارسات.

وقد تشرّفت العربية بأن تكون كلام الله ونزول القرآن الكريم بها ليكون الكتاب الذي يحفظ آخر الرسالات السماوية إلى البشر كافة، قال تعال: (وما أرسلناك إلا كافّة للناس بشيرا ونذيرا، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون)[٢]، لهذا تعدّ اللغة العربية لغة كونيّة وعالمية؛ لأنّها مرتبطة بحياة المسلم وآخرته فهي لغة جامعة موحِّدة، وقد ابتعدت عنها سمة العرقيّة أو القوميّة أو الاستعماريّة أو أن تكون لغة احتلال أو تسلّط أو هيمنة واستعباد، بل هي لغة للناس كافة، تجمع المسلمين وترحب بغيرهم لتعلمها عندما يجدون أنها تقضي حوائجهم.

من جانب آخر تقع سلطنة عمان في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وتعدُّ إحدى دول الخليج العربي الذي ينتمي لرقعة العالم العربي الذي يمتد بين قارتي آسيا وأفريقيا، وتمثل وطنًا للعمانيين منذ عصور سحيقة، وقد عرف العمانيون بحبهم لأرضهم وانتمائهم الكبير لدينهم، والتزامهم بتعاليمه وتعلّم كل ما يتصل به من حفظ لكتاب الله وتأليف في علوم الدين المختلفة لاسيما الفقه والتشريع. وقد اهتمت السلطنة بتعزيز وجود العربية في المجتمع العماني بفضل التزامها الدستوري بحماية اللغة العربية، وهي تقدم أنموذجًا يمكن تحليله نقديًا لفهم كيفية صياغة وتنفيذ سياسات اللغة.

وفي سياق فهم سياسات الصياغة الحقيقية لحماية اللغة العربية في سلطنة عمان، نسعى للكشف عن إجابة لسؤال محوري يبحث عن الكيفية التي تبنّتها سلطنة عمان في خلق مسارات، هل يمكن أن نسمها بالمسارات المبتكرة، وهل تبنّت سياسات تتوافق مع المسارات المبتكرة المطلوبة لمواكبة العصر الرقمي والحفاظ على الهوية اللغوية؟ وما نقاط القوة والضعف في هذه السياسات؟ وبهذا تتحدد أهدافنا في ثلاثة هي:

١. استعراض السياسات الرسمية المتعلقة باللغة العربية في سلطنة عمان.

٢. تحليل الممارسات الميدانية في (التعليم، الإعلام، البحث والتقنية).

٣. تقديم تقييم نقدي بناء للمسارات المستقبلية.

---

٢ اسبأ (٢٨)

أولًا: السياسات الرسمية المتعلقة باللغة العربية في سلطنة عمان

تقع اللغة -باعتبارها وعاء التنمية ووسيلتها التواصلية الحقيقيّة- موقع التأثير المباشر الذي يخدم التنمية، ويحمل مخزون التراث الثقافي الذي يمثله المجتمع الإنساني في أي بقعة، كما أن اللغة وسيلة التواصل الذي يفسر أهداف التنمية ويثبت مشاريعها ويوثّقها، ولنا أن نراهن بأن للغة أثرها الكبير في نجاح أهداف التنمية، وصياغة استدامتها عن طريق الخطاب التنموي الكبير الذي تستقطب به المؤسسات والأفراد على حدٍّ سواء، فالحكومات لا تنجح دون دعم من مجتمع فهم أهداف التنمية وسعى مع المؤسسات إلى تحقيق الأهداف، لأن الفرد هو هدف التنمية ووسيلتها في الوقت نفسه.

ولترسيخ مكانة سلطنة عمان الدولية ودورها في العالم صدر المرسوم السلطاني رقم ٢٠٢١/٦ بإصدار النظام الأساسي للدولة بعد تولي حضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم -حفظه الله- مجدّدا في بعض المواد الخاصة بالنظام الذي صدر في السابق عام ١٩٩٦ في عهد المغفور له بإذن الله السلطان قابوس بن سعيد، وقد جاء في المادة الثالثة من النظام: " لغة الدولة الرسمية اللغة العربية"[٣]، وهو ما يؤكّد التزام الحكومة بانتمائها الراسخ باعتبار سلطنة عمان دولة عربية إسلامية مستقلة ذات سيادة تامة، تتشبث بدينها وعروبتها العريقة.

ودعم ذلك ما جاء من نصوص مهمة وردت في رؤية عمان ٢٠٤٠، وفلسفة التعليم التي تسير عليها وزارة التربية والتعليم في السلطنة، حيث احتلت أولوية المواطنة والهوية والتراث والثقافة الوطنية ثالث الأولويات لصياغة مجتمع معتز بهويته وثقافته وملتزم بمواطنته، وجاء في الوثيقة: " إن نطاق العولمة والثورات الصناعية لم يعد ينحصر في البعد الاقتصادي فقط، بل تطور هذا النطاق بصورة متسارعة ليشمل النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية والسلوكية، ومع التأكيد على الحاجة لنهج التحديث والاندماج في عصر العلم والتقنية المتقدمة، إلا أن ذلك يجب أن يتوازن مع الانتماء للثقافة الأصيلة المتجذّرة، إغناءً للهوية العمانية، وحرصا على التقاليد والخصوصية. فالنجاح في تعزيز الهوية والحفاظ على الثقافة يتطلب حضورًا واعيًا ومسؤولاً في هذا العالم المتسارع، والاستفادة من الفرص الإيجابية"[٤].

وبالنظر إلى فلسفة التعليم في سلطنة عمان نقرأ أنها تهدف إلى "تكوين الإنسان المؤمن بالله تعالى، والمتمسّك بمبادئ الدين الإسلامي وقيمه، والمخلص لوطنه وسلطانه، والقادر على فهم مجريات العصر وحسن التعامل معها، والممتلك لمهارات التفكير العلمي والحياة العملية الإيجابيّة، المسهم في التنمية المستدامة في القطاعات المختلفة بالمجتمع العماني"[٥].

---

٣ مرسوم سلطاني رقم ٢٠٢١/٦، بإصدار النظام الأساسي للدولة، البوابة التعليمية https://home.moe.gov.om

٤ وثيقة عمان ٢٠٤٠، وحدة متابعة وتنفيذ رؤية عمان ٢٠٤٠ https://www.oman2040.om

٥ وزارة التربية والتعليم، فلسفة التعليم في سلطنة عمان، الأمانة العامة لمجلس التعليم، ٢٠١٧، ص١١

وفي قراءة سياساتيّة لأولويات رؤية ٢٠٤٠ ومؤشراتها يبدو أنّ موقع العربية في الوثائق الوطنية يعدُّ مركزيًّا ومحوريّا في رسم السياسات التي تنطلق من الأرض والإنسان وفلسفة المجتمع الذي تصاغ له تلك المسارات، حيث ينص محور "التنمية الاجتماعية" في رؤية ٢٠٤٠ على تعزيز الهوية العمانية المتجذّرة في اللغة العربية، ويقرّ بأن العربية إحدى محدّدات "المواطنة والابتكار المعرفي". وترتبط العربية بالرؤية ضمن ثلاث مسارات: أوّلها: الوعي الثقافي المتمثل في:

١. صون التراث والذاكرة الجمعية، عبر مشاريع حفظ المخطوطات العربية العمانية، وحماية العمارة التقليدية والتراث المعماري المتمثل في القلاع والأسواق والحارات القديمة، وتوثيق المرويّات الشفويّة والأغاني والقصص الشعبية.

٢. تعزيز اللغة العربية، عبر دعم المبادرات التي تُعلي من مكانة العربية في الخطاب العام، ودعم مسابقات الكتابة الإبداعية وبرامج تهتم بالنحو والخط العربي، والعمل على إنشاء منصّات إعلامية وثقافية تعزز الوعي بالعربية بوصفها أداة للمعرفة والتعبير.

٣. تنمية الوعي بالموروث الحضاري العربي والعماني، من خلال إنشاء المتاحف، وإقامة المعارض، ورعاية الأيام الثقافية، وكذلك إدماج تاريخ النهضة العمانية في الوعي الاجتماعي وتشجيع الإنتاج الثقافي المعاصر الذي ينطلق من الهُويّة دون الانغلاق عليها.

٤. بناء شخصية مواطن واع بهويته. يحقق هذا الهدف من خلال وجود برامج تمكين الشباب ثقافيا، ودعم مبادرات القراءة والمسرح والفنون من خلال النوادي الثقافية والمنتديات الأدبية والجمعيات الثقافية المتنوعة، وتفعيل دور المؤسسات الثقافية والجمعيات.

الوعي الثقافي يمنح العربية هوية لها جذور ورؤية واضحة، والتعليم النوعي يمنحها الأدوات العقلية والمعرفية التي تمكّنها من البقاء والتطوّر، والاقتصاد المعرفي يحوّل هذه الهويّة إلى طاقة إنتاجية ومورد مستقبليٍّ وفي وجودها وتحقيقها يمكن أن نصنع مسارات حداثية للهوية العربية، يمكن أن تكون أنموذجا يحتذى.

أما التعليم النوعي فيرتبط بتكوين إنسان قادر على خلق المعرفة مع الحفاظ على جذوره الثقافية الممتدة، ويتجلّى ذلك في:

١. توجيه مناهج دراسية داعمة للهوية، من خلال المقررات التي تعمّق فهم الأدب العربي، والعلوم المتصلة بها كالبلاغة والنحو، والنقد، وما يتصل بالفكر العربي والإسلامي بشكل عام، وتعزيز روح النقد والتأمل في النصوص التراثية.

٢. إيجاد بيئة تعليمية ثنائية (حداثيّة- هويّاتيّة)، يستخدم فيها المتعلم التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية، ومعلم يعمل على تطوير طرائق تدريس الإبداع اللغوي والكتابة الحرّة، وتنمّى في هذه البيئة مهارات التحليل الثقافي واللغوي.

٣. تأهيل المعلم بوصفه حارسا للهوية، بحيث يحصل على برامج تدريب لإكسابه الكفايات اللغوية والثقافية المطلوبة، وتمكينه من ربط التعليم بالقيم العربية والإنسانية، ويوظف فيها المنصات والبرامج التقنية في التدريس.

٤. دعم التعليم العالي والبحث العلمي، من خلال إيجاد مراكز بحث تعنى بالدراسات العربية: لغة، وتأريخا، وأدبا، وتشجيع الدراسات العابرة للتخصصات مثل: (اللغة والذكاء الاصطناعي، الأدب والعلوم الاجتماعية، الأدب والعلوم التطبيقية ... وهكذا)، السعي لإيجاد شراكات دولية تعزز حضور العربية عالميا.

أمّا في الاقتصاد المعرفي فالهويّة هنا لا تفهم رمزا فقط، بل تتحول إلى مورد إنتاج وقيمة ثقافية اقتصادية في الوقت نفسه، ويتمثل ذلك في صور متعددة منها:

١. الصناعات الإبداعية والثقافية المتمثلة في النشر والترجمة وصناعة المحتوى المحلي، كدعم السينما والدراما والرسوم المتحركة القائمة على بيئة عربية عمانية ومتصلة بثقافتها الخاصة، تصميم الألعاب الرقمية ذات المضامين الثقافية التراثية.

٢. صناعة تكنولوجيا باللغة العربية عبر تطوير برمجيات ذكاء اصطناعي باللغة العربية، وتعزيز الاقتصاد الرقمي الذي ينتج المعرفة باللغة العربية، ودعم الشركات الناشئة التي تقدم حلولا تقنية باللغة العربية.

٣. خلق ما يسمى بسياحة الهُويّة من خلال تسويق الثقافية العمانية عالميا عبر السياحة الثقافية، وتحويل التراث إلى قيمة اقتصادية داعمة ومستدامة كالحرف والصناعات التقليدية، وتسويق الممارسات الخاصة بها، إقامة معارض دولية للثقافة العربية والعمانية لإبراز خصوصيّتها.

٤. صناعة بيئة تهتم بريادة الأعمال المعرفية من خلال تشجيع روّاد الأعمال المهتمين بتوظيف الثقافة العربية في المشاريع الابتكارية، والمنصات المختصة بالكتب الالكترونية، والتي تناقش العربية عبر البودكاست والإعلام الجديد. السعي لخلق اقتصاد وهوية خاصة للمحتوى العربي على الانترنت.

وبصورة عامة فالوعي الثقافي يمنح العربية هوية لها جذور ورؤية واضحة، والتعليم النوعي يمنحها الأدوات العقلية والمعرفية التي تمكّنها من البقاء والتطوّر، والاقتصاد المعرفي يحوّل هذه الهويّة إلى طاقة إنتاجية ومورد مستقبليّ وفي وجودها وتحقيقها يمكن أن نصنع مسارات حداثية للهوية العربية، يمكن أن تكون أنموذجا يحتذى.

ثانيا: السياسات التنفيذية ذات الصلة بترجمة السياسات التشريعية

أمّا السياسات التنفيذية ذات الصلة باللغة فإننا لجأنا إلى تحليل هذه السياسات وفق قراءة الوثائق الرسمية وفهم السياق الثقافي والتنموي العام، وقبل تحليل السياسات، يجب تحديد كيف تُدرَج العربية داخل الوثائق الأساسية للرؤية، وقد وجدنا أن وثيقة الرؤية قد اعتمدت على أن تكون العربية رافعة للهوية العُمانية والعربية من خلال ما يظهر في محور "الإنسان والمجتمع" بوصفها عنصرًا من مكوّنات الهوية. وما تُوظَّف فيه العربية لتحقيق هدف تعزيز الانتماء للهوية الثقافية، والقيم المشتركة. ولاحظنا أن العربية هي وسيلة المعرفة، من خلال تداخلها مع محاور التعليم والاقتصاد المعرفي، وحضورها المرتبط بالكفايات اللغوية، والبحث العلمي، وصناعة المحتوى. بينما في جانب الابتكار والإنتاج الثقافي، فإن اللغة العربية تُستثمر ضمن مبادرات الصناعات الثقافية والإبداعية، وترتبط بمشاريع المحتوى الرقمي والتعليم الإلكتروني. ولفهم هذه الجهود منذ بداية النهضة العمانية يمكن تحليل ذلك وفق ما يأتي:

أ- الجهود المبكرة لتعريب الإدارة والتعليم في سلطنة عمان:

مع انطلاق النهضة المباركة عام ١٩٧٠، وضعت أولى اللبنات لتعريب الأعمال الحكومية، حيث وجه السلطان قابوس بن سعيد – طيب الله ثراه – بضرورة استخدام اللغة العربية في المخاطبات الرسمية وفي صياغة القوانين واللوائح المنظمة للدولة، كما أسست أجهزة الدولة الجديدة كـ(الوزارات والهيئات والدوائر) باعتماد شبه كامل على العربية في مجال المراسلات ومجال التشريعات، إذ كانت للسلطان قناعة سياسية مبكرة بأن العربية عنصر هوية وركيزة توحيد إداري في دولة كانت تتهيّأ للخروج من العزلة الطويلة التي عانت منها عمان.

وفي هذا الإطار من التوجه الحكومي جرى العمل على رفع كفاءة الموظفين لغويا، حيث اعتمدت وزارة الخدمة المدنية –آنذاك– على تنفيذ دورات مكثفة لتحسين مهارات العربية لدى الموظفين، وعملت على إدراج اختبارات تحريرية بالعربية في القبول الوظيفي، كما عملت الحكومة على تطوير أنماط الكتابة الإدارية للعاملين بها، بما يتوافق مع الدقة والوضوح الذي يمكنها من أداء مهامها على أفضل صورة.

وقد أسهمت بعض الهيئات الثقافية في دعم حركة التعريب وإبراز أهمية العربية في الإدارة والثقافة في القوانين والمراسيم السلطانية والنشرات الإدارية والمناقصات المنفذة والعقود الحكومية، وقد شكّل هذا التوجه والالتزام به تعريبا كاملا للفضاء الإداري قبل انتشار الحاسوب وقبل الثورة الرقمية التي يشهدها العالم الآن.

أما التعليم في عمان فقد كان يعتمد على عدد قليل من المدارس لا يتجاوز الثلاث، اثنتان في مسقط وواحدة في صلالة ، بينما تنتشر الكتاتيب في باقي المدن والقرى العمانية، قبل عام ١٩٧٠، وبعد النهضة اطلق التعليم في مرحلة جديدة، لينتشر بساط العلم علي

إن الحفاظ على الهوية اللغوية مثّل همًّا ومحورًا أساسًا في صياغة توجيهات القيادة بتجنب الإفراط في استخدام المصطلحات الأجنبية واستبدالها بمصطلحات عربية (مثل استبدال "عاطل عن العمل" بـ"باحث عن عمل"، واستبدال العديد من أسماء الأماكن في عمان بأسماء أخرى تعكس التفكير في اللغة بصورة تعكس نظرة التفاؤل والرضا.

الجميع، وكانت أولى سياسات التعليم الرسمية هو اعتماد اللغة العربية لغة أساسية للتدريس في جميع المواد الدراسية (باستثناء اللغة الإنجليزية والعلوم المتقدمة لاحقا)، واستقدمت الحكومة معلمين عرب من مصر والأردن وفلسطين والسودان للمشاركة في التدريس ودعم المحتوى العربي في التعليم، ووجهت لاحقًا بتأليف مناهج مدرسية تلتزم اللغة العربية من الصفوف الأساسية وصولاً للمرحلة الثانوية.

وفي التعليم العالي يجري التدريس باللغة العربية في معظم الكليات الإنسانية (الآداب والعلوم الاجتماعية، والتربية، والحقوق) في جامعة السلطان قابوس، حتى كليات العلوم والهندسة والطب يجبر فيها الطلبة لأخذ مساقات معينة باللغة العربية، حرصًا على ربطهم بهويتهم وثقافة المجتمع. وتهتم مؤسسات التعليم العالي بتعزيز برامج النشر باللغة العربية من خلال وجود المسابقات المختلفة في مجالات الإبداع كالشعر والقصة والمقال، وأنشئت مراكز لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تابعة لعدد من المؤسسات الحكومية كجامعة السلطان قابوس، وديوان البلاط السلطاني، وهناك من الخطط التي تعمل عليها مؤسسات التعليم المدرسي والتعليم العالي والتي تهدف إلى الحفاظ على العربية ضمن رؤية عمان ٢٠٤٠.

ب- سياسة سلطنة عُمان تجاه اللغة العربية

تضع عُمان اللغة العربية في صلب هويتها الوطنية، بدءًا من النظام الأساسي للدولة (مرسوم سلطاني رقم ٢٠٢١/٦) الذي ينص صراحةً في المادة الثالثة على أن: "اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة". هذا التكريس القانوني يعكس التزام السلطنة بحماية اللغة العربية والحرص على اكتسابها وتطويرها بوصفها أداة التواصل، والتعليم، والإعلام، والتشريع.

وتشير التطبيقات العملية في مجال التعليم إلى اعتماد اللغة العربية هي لغة التدريس الأساسية في جميع المراحل، مع وجود مقررات تسمح باستخدام لغة أخرى فقط إذا اقتضت طبيعة المادة (مثل المواد العلمية التقنية)، وتطلق وزارة التربية والتعليم مبادرات لدعم اللغة العربية، مثل برامج تحسين القراءة والكتابة للطلبة الذين يعانون ضعفًا في

التلقي اللغوي، وصعوبات في إتقان مهارات اللغة خاصة القراءة والكتابة، ومسابقات شعرية وأدبية للطلبة.

أما في مجال الإعلام والوثائق الرسمية فجميع اللوائح والقرارات والتعاميم تصدر بالعربية، ويُشترط استخدامها في المراسلات الرسمية. حتى في القطاع الخاص، ويؤكد قانون العمل الجديد وجوب استخدام العربية في لوائح العمل والتعاميم.

وفي مجال الجهود الأكاديمية والبحثية، فقد كان لتأسيس كرسي السلطان قابوس لدراسات اللغة العربية في جامعات عالمية مثل:(كمبريدج، أكسفورد، هارفارد، وغيرها) صورة مشرقة تعبّر عن تعزيز البحث والتعاون الدولي، ونشر اللغة العربية لتأخذ مكانتها بين لغات العالم المؤثرة.

وأدرجت اللغة العربية في مناهج التعليم العالي والبرامج التدريبية للمعلمين، مثل برنامج "خبراء اللغة العربية" في المركز التخصصي لتدريب المعلمين العمانيين.

إن الحفاظ على الهوية اللغوية مثَّل همًّا ومحورًا أساسًا في صياغة توجيهات القيادة بتجنب الإفراط في استخدام المصطلحات الأجنبية واستبدالها بمصطلحات عربية (مثل استبدال "عاطل عن العمل" بـ"باحث عن عمل"، واستبدال العديد من أسماء الأماكن في عمان بأسماء أخرى تعكس التفكير في اللغة بصورة تعكس نظرة التفاؤل والرضا. وتبذل القيادة أيضا جهودًا كبيرة في تشجيع الإنتاج الثقافي بالعربية (قصصًا، وشعرًا، وإنتاج أفلام) من خلال دعم المؤسسات التي تحافظ على التراث اللغوي بصورة المتعددة.

لا يمكن إغفال التحديات التي تواجه القيادات في عمان وغيرها، نظرًا لوجود مسارات مستقبلية تحمل صعوبات كبيرة في بعد التوازن بين العربية واللغات الأجنبية، نظرًا لرغبات التحديث التي تفرض نفسها وما تستدعيه الحداثة والعولمة من جلب للتقنية التي صنعت وامتلكت بيد شعوب لها لغة أخرى غير العربية، الأمر الذي يفرض قيودًا على محددات التنمية ودواعي امتلاكها، والذي فرض على عمان فتح أبواب للتعاون الدولي بما يستدعيه ذلك من استقطاب عقول من دول أخرى غير عربية، وكذلك إعداد أطر علمية تتحدث الإنجليزية بجانب العربية، بل وتتقنها كالعربية في بعض الأحيان، وهو ما أدخل القيادة في إيجاد جهود مضاعفة لضمان عدم تراجع استخدام العربية أيضًا.

إن هذا التوازن بين الأهداف الكبرى لبقاء الهوية، وضغوط العولمة والحداثة التقنية والتقدم التقني في مجالات التقنية والبحث العلمي، وضع السياسات في كمّاشتي التخطيط والتنفيذ، وعدم القدرة على التحكم في مسارات المستقبل من المعايير المتوازنة وما يمكن أن يطرأ للمجتمع من قناعات ومعتقدات قد تتشكل في المستقبل. كما أنّ اللهجات المحلية وما يدخل في ثقافة المجتمع من تداخل الثقافات وتعدد اللغات كالبلوشية والسواحلية وغيرها، هي لغات أتت من أثر الارهاصات التاريخية التي مرَّت بها عمان

عبر قرون كثيرة، وما يمكن أن تؤثر به هذه اللهجات العمانية واللغات الوافدة المتعددة على الفصحى. وقد حرصت القيادة في عمان على توثيقها دون إضعاف الفصحى.

ونخلص من ذلك إلى أنّ سياسة عُمان تجمع بين التكريس القانوني أو التعزيز المؤسسي، والبرامج التنفيذية لحماية اللغة العربية وتطويرها، مع الحرص على مواكبة العصر والانفتاح على اللغات الأخرى دون التفريط في الهوية اللغوية.

ثالثاً: تحليل الممارسات الميدانية في (التعليم، الإعلام، والبحث والتقنية)

أ- التعليم

إن الانتقال باللغة العربية من لغة نص إلهي، وتراث فكري وثقافي لهو المهمة الكبيرة التي يجب أن تشغل مفكرينا ومؤسّسات التخطيط العليا، إذ يجب أن تتوفر المؤسسات التي تشتغل على نقل اللغة العربية من مستوى الاستهلاك إلى مستوى الإنتاج وذلك بتطوير مهارات أبنائها وتنميتهم التنمية التي تتوافق ومعطيات تاريخهم وهويّتهم والعصر الذي يعايشونه. هذا الهدف الإستراتيجي يظهِر أمامنا سؤالاً يبدو لنا حيويًا، ومهمًا لنفكر به وهو متعلّق بموضوع تطوير وتطوّر اللغة باعتبارها كائنًا حيًا، وعلاقة ذلك بسلوك عفوي يقوم به أبناء أمتنا خاصة مثقفوها والبارزون في مجال الدعاية والإعلام، وهي مسألة استعارة المصطلح والدلالة، " فالنفوذ المصطلحي الوافد حاصل سواء قبلنا أو رفضنا، وهو مرتبط بنفوذ الدول الكبرى وسطوتها وهيمنتها التقنيّة والفكريّة الثقافيّة والسياسية، وأيضًا بتقدمها العلمي والتقني، الأمر الذي يطرح علينا مقاومة ومواجهة إشكالية تعجيم المصطلح والوصف أو لبررته (من الليبرالية) وبالتالي تغريب الأفق الفكري والثقافي للأجيال في أمّتنا"[٦].

وبالنظر إلى فلسفة التعليم في سلطنة عمان نقرأ أنها " ترمي إلى تكوين الإنسان المؤمن بالله تعالى، والمتمسّك بمبادئ الدين الإسلامي وقيمه، والمخلص لوطنه وسلطانه، والقادر على فهم مجريات العصر وحسن التعامل معها، والممتلك لمهارات التفكير العلمي والحياة العملية الإيجابيّة، المسهم في التنمية المستدامة في القطاعات المختلفة بالمجتمع العماني"[٧]. هذه المادة تهدف إلى التكوين المتكامل لشخصية المواطن العماني دون الإشارة إلى الوسيلة والوعاء الذي يهيأ به هذا المواطن الصالح كمخرج نهائي من عملية التعلم، هذا التغافل عن الوسيلة أو القناة التي يحول بها الإنسان الخام إلى شخص صالح يدرك فكريًا كل العوالم الفكرية والعلمية

---

٦ غرس الله، محمد عمر، اللسان (الهويّة والأمة، والعلمانية)، دار نقوش عربية، تونس، ٢٠٢١، الطبعة الأولى، ص٣٥

٧ وزارة التربية والتعليم، فلسفة التعليم في سلطنة عمان، الأمانة العامة لمجلس التعليم، ٢٠١٧ مصدر سابق، ص١١

التي تحيط به، لم تناقش أبجديات هويّته ولم توضح وسيلة نقل المعرفة إليه. كما أن صياغة المناهج الخاصة بتعليم اللغة بقيت متذبذبة بين المناهج القديمة في تعليم علوم العربية (نحوًا وصرفًا وبلاغة، وأدبًا) وبين تعلمها وفق مهارات اكتسابها (قرادة وكتابة واستماع وتحدث)، وظلت عملية المراوحة، ونتائج الدراسات تحمل عملية التعلم في موج من الدراسات التي تؤيد مسارًا وتدني من مسار آخر، وتغافل الجميع عن كون الهدف هو تكوين هوية متكاملة للذات تتمتع بشخصية نهدف لجعلها فاعلة تستطيع أن تصنع الإضافة في المستقبل.

وهكذا نشأت عملية الازدواجية في القنوات الموصلة للمعرفة؛ وتعددت اللغات الناقلة، وتكاثرت المشاريع التي ترعى أنواع التعليم، وتوسعت الدائرة بوجود المدراس التي تعددت مسمياتها، وتشعبت أهدافها ومقاصدها، فوجدت المدارس الدولية والمدارس العالمية، والمدارس ثنائية اللغة، ناهيك عن وجود ازدواجية لغوية في بعض المجتمعات المدنية والبدوية في عمان، مثل وجود اللغة السواحيلية، واللغة البلوشية، واللغة المهرية، والجبالية، والكمزارية، وغيرها. هذه اللغات استوعبتها عمان وفق معطياتها الحضارية التي أفرزتها المعطيات التاريخية والجغرافية لسلطنة عمان، وهو ما يفرض علينا النظر إلى خصوصيّتها اللغوية والحضارية بشيء من التحليل الخاص للمعطيات التي تجعلنا نضع لها السياسات التعليمية الناجعة خاصة فيما يتعلق بتدريس اللغات، والاعتزاز بالهوية الوطنية الموحدّة.

إنّ عملية وضع هدف لإتقان اللغة العربية والاعتزاز بها لهو ترجمة واعية لفكر يعي أهمية اللغة العربية في تعزيز الهوية الوطنية لأبناء هذا البلد، والتي استمدت مجمل مبادئ فلسفة التعليم فيها من مصادر مهمة هي: الدين الإسلامي، والفكر السامي لجلالة السلطان قابوس – رحمه الله– والنظام الأساسي للدولة، والحضارة العمانية، والمجتمع العماني بخصائصه واحتياجاته وطموحاته، والرؤية المستقبلية للدولة، والفكر التربوي المعاصر وخصائص المتعلم، والقضايا العالمية المعاصرة. ويأتي هدف إتقان العربية متماشيًا ومنسجمًا مع المبادئ الأخرى لأنه يعززها، ويساعد على تحقيق أهدافها خاصة وهو يأتي ليكون ثاني مبادئ الفلسفة، بعد التعلم المتكامل للمتعلم. ففلسفة التعليم في عمان " ترمي إلى تكوين الإنسان المؤمن بالله تعالى، والمتمسّك بمبادئ الدين الإسلامي وقيمه، والمخلص لوطنه وسلطانه، والقادر على فهم مجريات العصر وحسن التعامل معها، والممتلك لمهارات التفكير العلمي والحياة العملية الإيجابية، المسهم في التنمية المستدامة في القطاعات المختلفة بالمجتمع العماني"[٨].

هذا التوازن الجيد بين مبتغيات سياسة التعليم ومبادئها واتساقها مع المصادر المنبثقة منها يساعد بصورة كبيرة في عملية التخطيط المتوازن والواضح في إعداد البرامج اللازمة للتمكين، وتحديد المهارات المطلوبة لكل مجال من مجالات التنمية في المستقبل لينمو المجتمع ويتطور، ويسير نحو غاياته المنشودة، والتي تترجم على أرض الواقع إلى برامج ومشاريع.

---

٨ فلسفة التعليم في عمان، مصدر سابق، ص١١

وتنصّ المادة الثالثة من مواد النظام الأساسي للدولة أنّ " لغة الدولة الرسميّة هي اللغة العربية"[٩]، وتشكّل هذه المادة من مواد النظام الأساسي أساسًا لمبادئ ومنطلقات خطط التنمية وهو ما وجدناه مبرمجًا وحاضرًا في رؤية ٢٠٤٠، التي نحن بصدد تنفيذها. فأهم الأهداف التي تسعى إليها الرؤية هو "تنمية مجتمع إنسانه مبدع، معتزّ بهُويّته، مبتكر منافس عالمياً، ينعم بحياة كريمة ورفاه مستدام"[١٠]هذا الهدف المهم أشار وبجلاء إلى أهمية وجود الهويّة الوطنية، التي ينطلق الإنسان منها بإبداعه وابتكاراته ليشارك بها العالم وليسهم في الحضارة الإنسانية.

ولئن كان هذا الهدف ترجمة سلوكية ينبغي على المؤسسات السير في تحقيقه من خلال البرامج المختلفة والمشاريع المنظورة للتنفيذ، فإنّ الهدف جاء منسجمًا ومتسقًا مع أولويات الرؤية، فمن هذه الأولويات جاء " التعليم والتعلّم والبحث العلمي والقدرات الوطنية" وتأتي المواطنة والهُويّة والتراث والثقافة الوطنية ثاني هذه الأولويات لتترجم عبر المؤشرات الحيوية عن طريق الاستمرار في تعزيز بناء مجتمع ملتزم معتزّ بهويّته وثقافته وملتزم بمواطنته وانتمائه[١١].

تعبّر نصوص الرؤية المبنية على ما نفذ في الخطة الخمسية الخامسة، ووفق ما نصّ عليه النظام الأساسي على توحيد الفكرة، وتعزيز دور الهويّة الوطنية، وهو ما تؤكّد عليه فلسفة التعليم في السلطنة، وتسير في تنفيذه في مراحل التعليم الأساسي التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم، لكن الإشكالية والفجوة تظهر في مراحل التعليم العالي وما بعده من خلال سوق العمل والانطلاق إلى العالم الرحب للاستزادة في العلم أو طلب التخصصات الدقيقة في العلوم التطبيقية المختلفة.

إنّ ربط التعليم بالنفعية والعمل جعل الكثير من مخرجات التعليم تعيش حالة من الارتباك في جانب الاعتزاز بالهوية والانتماء، ذلك أن الانتماء والهوية أمران مرتبطان باللغة العربية، لهذا وجب أن نناقش الصلة بين اللغة العربية والهويّة الوطنية، يقول محمد عمر غرس الله في كتابه (اللسان –الهويّة، الأمّة، العلمانيّة) إنّ " استخدام لغة أجنبيّة تزاحم لغة الأُمّة يسبب إزاحتها وموتها التدريجي، بتصاعد الولاء للغة الأجنبيّة والتأثّر بثقافتها وحمولاتها الحضارية تحت وهم التفتّح والحداثة"[١٢]. والحقيقة أننا بدأنا نرى عددًا من أبناء الوطن يتحدثون الإنجليزية في حياتهم اليومية وينشّئون أبناءهم عليها، وهذا ما يجعل من هؤلاء الأبناء منفصلين عن عالمهم الحقيقي بكل ما يحمله من دين وثقافة وقيم وعادات وتقاليد، مفضلين التفاعل مع عالم آخر له ثقافة أخرى بسبب اللغة.

---

٩ النظام الأساسي لسلطنة عمان الصادر بمرسوم سلطاني رقم (١٠١/ ٩٦)، ص٣، home.moe.om

١٠ رؤية عمان ٢٠٤٠، وثيقة الرؤية، www.isfu.gov.om

١١ السابق نفسه، ص٢١

١٢ غرس الله (محمد عمر)، اللسان (الهويّة- الأمة- العلمانيّة)، مرجع سابق، ص٢٢

إذن المشكلة ليست في النصوص التشريعية سواء نص النظام الأساسي للدولة أو نصّ فلسفة التعليم أو نصوص الخطط الخمسية أو حتى نص رؤية ٢٠٤٠، لكنّ الإشكال يكمن في عمليات التطبيق والصيرورة الاقتصادية المتسارعة التي تفرض على المجتمع ومؤسّساته الانصياع لمتطلبات المعرفة المعمّقة للغة الأجنبية خاصة في العلوم التطبيقيّة، وقد لحقتها العلوم الإنسانية والاجتماعيّة الآن بطبيعة الحال بسبب التطور الكبير في هذه العلوم على مستوى التناول والبحث والنتائج العلمية والمنهجية المتشعبة، وما زالت الإشكالية تتوسع بسبب مؤسسات التشغيل التي توطن المتقن للإنجليزية وخريج الجامعات الأوروبية والأمريكية في الوظائف المرموقة، وحيازة الأماكن الفضلى في الوظائف.

إنَّ ربط التعليم بالنفعية والعمل جعل الكثير من مخرجات التعليم تعيش حالة من الارتباك في جانب الاعتزاز بالهوية والانتماء، ذلك أن الانتماء والهوية أمران مرتبطان باللغة العربية.

ب- الإعلام

يؤدي الإعلام دورًا مهمًا في نشر الوعي وتثبيت المعتقدات المعرفية لدى شريحة كبيرة من أبناء المجتمع، وعند تشريح المسألة عمليًا فسنجد للإعلام دور كبير في وضع بذور الروح الانهزامية، وتراجع الثقة في الذات، والتي بدأت تتجلى من خلال مجموعة من الإشكاليات والمظاهر المتعلقة بذلك من مثل:

١- إشكالية انتشار ظاهرة تسكين المصطلحات الأجنبية في النص العربي عبر كتابة لفظها الأجنبي بالحروف العربية، تنتشر هذه الظاهرة لدى الباحثين والكُتّاب والصحافيين، وكل من يمكن وسمه بالعلم والثقافة الواسعة، عبر الانفتاح على الآخر المختلف والقويّ، ليس هذا وحسب بل أن المؤسّسات التعليمية والبحثيّة بدأت تتبنى ألفاظًا جديدة مثل:(سوسيولوجيا Sociology) بمعنى علم الاجتماع، و (كولونيالي Colonialism) بمعنى النهج الاستعماري، و (إمبريالية Imperialism) بمعنى إمبراطوريّة توسّعيّة، وغيرها من الكلمات التي دخلت في لغتنا اليومية التي نتعامل بها سواء في المناقشات العابرة أو في الأوساط العلمية التخصصيّة.

٢- إشكالية قومنة اللهجات المحليّة وجعلها ضرّة للغة العربية، وما زرعه ذلك من تأثير العصبية القبليّة ونعراتها، وانتشار هذه العصبية على مستوى الدول والمذاهب الدينية. توجد في عمان العديد من اللهجات التي رصدها كتاب اللسان هي: الجبالية والشحرية والصلالية والبطرحية والسواحلية والمهرية والهيبوتية والبلوشية والزدجالية واللواتية. والحمد لله نحن لا نعاني من هذه المشكلة، لأن الفكر السامي أدرك التعامل العادل والمساواة بين الناس في المعاملات من خلال المساواة في الحقوق والواجبات، لكن بعض الدول العربية ما زالت تعاني من هذه المشكلة.

٣- انتشار ظاهرة التغريب، وتشابك خطوط التحدّي اللغوي، وتأثير الإعلام بتمظهر معضلة التغريب في مسألة تربية الطفل على اللغة الأجنبية منذ سنوات عمره الأولى؛ ليشَبّ متقنًا لها، ملحقين الأبناء بمربيّات أجنبيات يتعاملن مع الطفل باللغة الأجنبية، ناهيك عن المؤسّسات التعليمية التي بدأت تؤصّل لتعلم اللغة الأجنبية وفق مناهج دولية عالمية، مهمشين فيها اللغة الأم ومعززين فيها وجود اللغة الأجنبية، وهو ما يمكن أن نعزوه إلى "الانسلاخ والتبعيّة الفكريّة والثقافيّة"، وما أثّر به هذا السلوك على "بنية ذاكرة أجيال المجتمع"، والتي أصبح إتقان اللغة الأجنبية - خاصة الإنجليزية- مظهرًا من مظاهر المباهاة والوجاهة الاجتماعيّة. علاوة على انسياق التعليم العالي بتوفير فرص التعليم لمن يتقنون الإنجليزية أكبر من غيرهم، وجر المجتمع لتبني يقين عميق بأن الوظيفة المرموقة والتعليم المتميز يذهب لهذه الفئة من الطلبة يدفع المجتمع لتبني معتقدات معرفية راسخة عن قوة الإنجليزية في سوق العمل مقابل العربية. ويدفعهم ليعلموها أبناءهم أكثر من أي لغة أخرى ولو على حساب لغتهم الأم.

كلّ هذه تمظهرات للقضية نفسها وتحديات تعانيها العربية في عمان وفي دول عربية عديدة تظهر إعلاميًّا في حياتنا اليومية، ويجب أن نقف هنا وقفة تأمل إليها لنرى ماذا يمكن أن نصنع حيالها، ولو بخطوات واضحة. إن جملة هذه الإشكاليات تنتج صراعًا حضاريًّا ضد ما يسمى باللغة الأم (اللغة العربية) فاللغة العربية على حدِّ قول د. علي الودغيري: "أن العربية هي اللغة التي تشترك في التفاهم بها مكونات الأمّة كلها بمختلف شعوبها ودولها ولغاتها؛ لأنها الجامعة والحاملة للمدلول الديني والثقافي للأمّة بمفعول اللسان العربي المبين، وهو الذي صنع ويصنع ترابط النسيج اللساني المتداخل في المجتمع، ويشكّل لوحة الحضارة العربية الإسلامية الكاملة"[١٣].

---

٩ غرس الله، اللسان، مرجع سابق، ص٢٤

إذا كان النظام الأساسي للدولة ينص بأن اللغة الرسمية للدولة هي اللغة العربية، فلماذا نصرّ على ممارسة غيرها في الكثير من المواقع؟ وإذا كانت فلسفة التعليم قد أكدت على تعليم اللغة العربية لينشأ طالب العلم معتزًا بهويّته وانتمائه لأمته ووطنه، فلماذا يمارس عليه التغريب والاستلاب عندما يذهب إلى بعض مؤسسات التعليم العالي وسوق العمل؟ وإذا كانت رؤية ٢٠٤٠ قد رسمت ليكون مجتمع هذا الوطن معتزًا بهويّته لينطلق إلى مستويات الإبداع والابتكار، فكيف سيبدع إن اهتزت ثقته بلغته وهويّته فهو سيعبر بلغة أخرى وينشر ابتكاره مكتوبًا بلغة أخرى غير التي فكر بها؟

لقد آن الأوان لنفكر في هذه الازدواجية التي نعيش في خضمها، وتتربى أجيال كثيرة تحت وطأة الاستلاب والتغريب، فقد أمسى أبناؤنا يقدّسون لغة الآخر ويهرولون لتعلمها، يهمشون لغتهم وينعتونها بالصعوبة والتعقيد. لقد اهتزت ثقة أبنائنا في لغتهم ودينهم وكل ما هو متعلق بثقافتهم لأن ما نمارسه غير الذي نكتبه خططًا لمستقبلنا.

وإذا أخذنا مسألة وصف اللغة العربية بالصعوبة والتعقيد فإن هناك العديد من الدراسات التي أشارت إلى بعض الحلول العملية التي يمكن أن تيسر أمر اللغة ويسهّل تعلمها من بينها: تعريب المصطلحات الأجنبية، وترجمة آداب الأمم الأخرى والاستفادة منها، وتسهيل قواعد الإملاء والنحو العربي، وإقحام العامي مع الفصيح في معجم واحد لتوضيح التعددية اللغوية للمعنى الواحد في لهجات كثيرة، وإعداد برامج متعددة للغات لا أن تسيطر لغة واحدة علينا وتستلبنا لتعلمها ولثقافتها، نعلم اللغات في مراحل التعليم العالي وميدان العمل، تعلم اللغة ضمن الجماعة، تطوير المعلمين من أجل تربية لغوية شاملة وموجّهة توجيهًا صحيحًا، تعزيز القدرة على مواجهة الأزمات عن طريق التفكير باللغة. ويجب أن نفعل أدوات التطوير والتقييم ليتم التقويم بصورة صحيحة، ولا نغفل عن عمليات المتابعة المستمرة لتقييم البرامج وعمل المؤسسات فبدون المتابعة والتقييم لن تتم عمليات تحديث حقيقية وفاعلة، وعلينا في هذا الإطار أن نفعل مؤشرات النجاح والتطوير. ومما لا شك فيه أن أمر تفعيل مؤشّر أخطار اللغة مهم في إطار متابعة ممارساتنا التعليمية في تعليم اللغة العربية لنقيم أنفسنا في ذلك، لنصلح قبل أن نستلب.

إنّ تفعيل مؤشّر مخاطر اللغة لهو أمر في غاية الأهمية لنرفع من شأن لغتنا ونطور تعليم اللغة العربية؛ لأن ما يمارس على حضارتنا واللغة العربية من إقصاء وتهميش بفعل أبنائها أولا وبفعل الآخر إنما هو عمليّة ممنهجة للتغريب والاستلاب عبر أجيال متعاقبة، ولكي نرفع من شأن لغتنا يجب علينا القيام بعدة أمور أهمها: إيجاد النصّ اللغوي المعاصر الذي ينبغي أن يكون سهلاً وميسّرًا وفق المرحلة العمرية، ويرتفع مستوى العمق والتناول مع المراحل العمرية اللاحقة، وعلينا الاستفادة من القرآن الكريم ونصوص الحديث وخطب السلف الصالح، بما يتماشى وتنمية المهارات اللغوية، مستفيدين في ذلك من التقنيات وتفعيل دور المتعلم أكثر في صقل مهارات البحث. وعلينا ألا ننسى تعريب المصطلحات العلمية بشكل دائم وتوحيد الجهود

في إيجاد معاجم وقواميس عصرية مزودة باللوحات والرسومات التوضيحية الجاذبة، وتطوير المعاجم اللغوية بصورة دائمة كل في حقله وتخصصه. وهنا أشير إلى تجربة بعض الباحثين في وضع قاموس لغوي رقمي لألفاظ اللغة العربية، هذا القاموس الرقمي، سيسهم بصورة كبيرة في دعم وتعزيز جهود اللغويين الذين يعلمون العربية للناطقين بغيرها، والذين يزداد عددهم يومًا بعد آخر.

هذه الجهود التي نشير إليها لن تثمر إذا لم تتعاون أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة معا لتحقيق هذه الأهداف والرؤى والتي نؤكد من خلالها على العمل وفق منظومة متكاملة، يعزز فيها كل مجال أو قطاع عمل الآخر من مؤسسات الدولة وجهات التعليم.

في عمان نحن نمتلك تراثًا فكريًا وثقافيًا متشعّبًا، يرتبط في جزء كبير منه بمجالات تتصل بالدين والقرآن والحضارة الإسلامية وتاريخ بناء الحضارات على هذه الأرض، إذن فنحن نمتلك هويّة ثقافية ذاتية مميّزة تساعدنا على الإبداع والابتكار في قطاعات متعددة منها القطاع الثقافي والقطاع السياحي والقطاع الاقتصادي، وكل ذلك يسهم في تثبيت الجانب السياسي للدولة فيكسبها سمة الديمومة والاستمرار، لكن يبقى أن نعي أن أمر تسويق هذه المعرفة إنما يحتاج إلى تطوير في الأدوات والإجراءات، وإبداع في العرض وتوظيف للموارد المتاحة، باختصار نحن نحتاج إلى فكر شبابي مبتكر ومبدع؛ لنظهر معرفتنا ونجذب بها الآخر ليأتي إلينا.

ج- الممارسات التقنية الحديثة

أسهم التطور التقني المتسارع في إحداث تحوّل نوعي في طرائق تعلّم اللغات وتعليمها، إذ لم تعد العملية اللغوية محصورة في الفضاءات الصفّية التقليدية، بل انفتحت على بيئات رقمية تفاعلية أتاحت للمتعلم فرصًا أوسع للممارسة، والتجريب، وبناء الكفايات التواصلية. ويأتي الذكاء الاصطناعي في مقدّمة هذه التحوّلات، بما يوفّره من أدوات قادرة على تحليل الأداء اللغوي، وتقديم تغذية راجعة فورية، وتخصيص المحتوى التعليمي وفق مستويات المتعلمين واحتياجاتهم المعرفية. وفي سياق اللغة العربية، يكتسب توظيف التقنيات الذكية أهمية مضاعفة، لما تتميز به العربية من ثراء صرفي وتركيبي ودلالي يتطلّب مقاربات تعليمية مرنة وديناميّة. ويسهم الذكاء الاصطناعي في دعم تعلّم العربية عبر نمذجة الاستعمال اللغوي في سياقات حقيقية، وتعزيز مهارات التفكير اللغوي والنقدي، وتنمية الوعي ببنية اللغة ووظائفها الجمالية والتداولية. وبهذا يغدو تعلم العربية بالتقنية مدخلاً لتطوير التفكير باللغة وفيها، لا بوصفها أداة تواصل فحسب، بل باعتبارها فضاءً معرفيًا وإبداعيًا منتجًا للفهم والتأويل وبناء المعنى.

ومن بين هذه المبادرات والرؤى: "منصّة المدن الذكيّة ومنصّة إيجاد الالكترونية ومجمع الابتكار في مسقط، وهي إنجازات رائعة تمارس الصناعات الإبداعية الحديثة، وتوظف مهارات

الشباب في مجال التقنية وعلم الشبكات، وتعمل على تسويق المعرفة الثقافية. وبهذا يتعزّز في مجتمعنا ما يسمى بالإبداع البرتقالي "القائم على المعرفة والتفاعل بين الإبداع الإنساني من جهة والأفكار والمعرفة والتكنولوجيا من جهة أخرى" [١٤]

ورغم التقدّم الملحوظ في اعتماد المنصات الرقمية وتوسيع البنى التحتية التعليمية في سلطنة عُمان، تظل محصلة التطبيقات التقنية في التعليم مختلطة بين إنجازات تنظيمية وطنية ومشكلات تنفيذية ميدانية. فقد نجحت الوزارة في توحيد بوابات ومصادر المحتوى الرقمي لتمكين الوصول المركزي وإدارة الصفوف عن بُعد، إلا أن تجارب المدارس والجامعات كشفت عن تفاوت كبير في مستوى الاستفادة الفعلية بسبب فجوات تدريب المعلمين، ونقص المحتوى المحلي المكيّف لخصوصية المناهج العربية، وضعف آليات القياس النوعي لأثر التعلم الرقمي على مهارات التفكير النقدي والإبداعي لدى الطلبة. إضافةً إلى ذلك، تبدو جهود إدماج الذكاء الصناعي في مرحلة الانتقال من مبادرات وتجارب مبدئية إلى إستراتيجيات وطنية مستدامة، مع غياب إطار أخلاقي وتشريعي موحّد يحكم استخدام نماذج لغوية وأدوات التقييم الآلي. هذه الملاحظات تشير إلى أن الجانب المؤسسي (سياسات، تدريب، محتوى، قياس) غالبًا ما يتخلف عن سرعة نشر التكنولوجيا نفسها، مما يحدّ من تحقيق فوائد تعليمية عميقة ومستدامة.

◄ التوصيات:

هناك جملة من التوصيات يمكن تنفيذها مستقبلاً بهدف تجويد الأداء المؤسسي والمجتمعي:

١. برنامج تدريبي يعنى بالمعلمين: إطلاق حزمة تدريب وطنية إلزامية دورية لرفع كفايات التدريس الرقمي، تركز على تصميم أنشطة تفاعلية، استخدام بيانات التعلّم للتقويم التكويني، والحلول العملية لربط التقنية بتنمية التفكير النقدي. يفعل فيها قياس الأداء عبر مؤشرات تعلم واضحة بعد كل دورة.

٢. تطوير محتوى عربي محلي مصمم عبر تمويل فرق محتوى وطنية متعدّدة التخصصات لتصميم وحدات رقمية بالعربية تلائم السياق الثقافي والمناهج الوطنية (يتضمن ذلك موارد لغوية وتدريبات لغوية متقدمة تدعم اللغة العربية كلغة للتفكير وليس فقط للتواصل.

٣. إطار وطني لحوكمة الذكاء الاصطناعي في التعليم من خلال صياغة دليل تشغيلي وأخلاقي موحّد يحدد قواعد الشفافية، حماية البيانات، تقييم نماذج اللغة/التوصية، ومسارات المساءلة عند استخدام أدوات تقييم أو توليد محتوى آلي داخل المدارس والجامعات.

---

١٤ الدرمكية (عائشة)، الثقافة في التنمية المستدامة، جريدة عمان، نشر: ٢١/ ٨/ ٢٠٢١، omandaily.om

٤. آليات قياس أثر تعلمي منتظمة ومحايدة، من خلال إنشاء منظومة قياس كمية ونوعية (اختبارات أداء، ملاحظات صفية، استبيانات ناقدة) لتقييم تأثير الأدوات الرقمية على مخرجات التفكير والتحصيل؛ تُستخدم النتائج لتحديث المنهج والمحتوى والتدريب.

٥. نماذج تجريبية مدعومة بالبيانات قبل التوسيع؛ لتساعد في اعتماد سياسة «اختبار – تقييم – توسعة» لكل تقنية جديدة، والبدء بمشاريع تجريبية محددة المقاييس والمدة، هدفها تحليل بيانات الاستخدام والتعلم، ثم قرار التوسعة أو التعديل، لتجنّب انتشار أدوات غير فعالة أو غير مقبولة مهنياً.

٦. شراكات مجتمع–حكومي–خاص، وتفعيل شراكات استراتيجية مع مـزوّدي منصات، ومزوّدي محتوى عربي، ومؤسسات بحثية وطنية لضمان نقل الخبرات، والسعي بإنشاء مبادرات لمساهمات محلية، والاستفادة من إمكانيات مثل النماذج اللغوية الوطنية مع ضمان الملكية الفكرية والحماية.

٧. استحداث برامج أكاديمية تعنى بهندسة اللغة في الجامعات المحلية، والاستفادة من إعداد أطر عمانية من الشباب في عمليات البرمجة الآلية لتطوير المحتوى المكتوب باللغة العربية في الشابكة / الانترنت، والمساهمة بشكل متكامل مع الدول العربية في ذلك، من خلال العمل المشترك بين الدول الداعمة للمشروع.

◄ المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الدرمكية (عائشة)، الثقافة في التنمية المستدامة، جريدة عمان، نشر ٢١/ ٨/ ٢٠٢١، omandaily.om
- القصراوي (مها حسن يوسف)، واقع اللغة العربية بين التفكير والتغيير www.alarabiahconferences.org، قرأ بتاريخ ٢١/١٠. ٢٠٢١.
- النظام الأساسي للدولة، البوابة التعليمية، https://home.moe.gov.om
- الوثيقة العربية للأمن الوطني واللغوي في الدول العربية، دبي– الإمارات العربية المتحدة، ٧–٩ ربيع الآخر ١٤٤٦هـ الموافق: ١٠–١٢ أكتوبر ٢٠٢٤.
- غرس الله (محمد عمر)، اللسان (الهوية، الأمة، والعلمانية)، دار نقوش عربية، تونس، ٢٠٢١، الطبعة الأولى.
- وثيقة عمان ٢٠٤٠، وحدة متابعة وتنفيذ رؤية عمان ٢٠٤٠، om.https://www.oman2040
- وزارة التربية والتعليم، فلسفة التعليم في سلطنة عمان، الأمانة العامة لمجلس التعليم، ٢٠١٧.

ستٌّ وستون قاعدةً سهلةً لرواد الأعمال: خارطةُ طريقٍ لتحسين الأداء

تأليف:
دين أ. شيبرد - هولجر باتزِلت
نيكولا برويجيست

ترجمة:
د. فاطمة بنت خميس العلوية

يَعرضُ هذا الكتابُ ستًّا وستين قاعدةً سهلةً لروادِ الأعمالِ. إنَّه ليس كتابًا أكاديميًّا بحتًا؛ لأنَّه لا يعرضُ نتائجَ بحثيةً مُحَدَّدَةً. ولكنْ يُمكِنُنَا أنْ نُؤَكِّدَ لكم أنَّ هذه الأبحاثَ التي تقومُ عليها هذه القواعدُ راسخةٌ وصحيحةً. إذا كنتَ مهتمًّا بالجانبِ العلمي من هذه القواعد، فقد أعددنا قائمةً بالقراءاتِ الإضافية في نهايةِ الكتابِ.

ويختلفُ هذا الكتابُ أيضًا عن الكتابِ المدرَسِيِّ؛ لأنَّهُ لا يستخدمُ أمثلةً مُفصَّلَةً. ورغم أنَّ الأمثلةَ يمكنُ أنْ تساعدَ في توضيحِ المفاهيمِ المُجرَّدَةِ، فالتركيزُ المباشر هنا على الأمورِ العَمَليَّةِ.

أقسام الكتاب

تتوزع أقسام الكتاب بين ١٢ قاعدة عامة تتفرع منها مجموعة قواعد، ومن القواعد الفرعية قواعد مبسطة أخرى، تأتي في مجملها ست وستون قاعدة ريادية.

والقواعد العامة الأشمل هي:

(١) قواعدُ سهلةٌ للتَّعرُّفِ على الفُرَص

(٢) قواعدُ سهلةٌ لاختيارِ السوقِ والدخول إليه

(٣) قواعدُ سهلةٌ لاتخاذِ القراراتِ الرِّيادية

(٤) قواعدُ سهلةٌ لتطوير الخطط والإستراتيجيات

(٥) قواعدُ سهلةٌ لإشراكِ أصحابِ المصلحةِ الخارجيين

(٦) قواعدُ سهلةٌ للعمل مع الشُّركاءِ المؤسِّسينَ

(٧) قواعدُ سهلةٌ لإدارةِ المُوظَّفين

(٨) قواعدُ سهلةٌ لتنميةِ مَشْرُوعِكَ

(٩) قواعدُ سهلةٌ لِرُكُوبِ قطار الأحداث العاطفية

(١٠) قواعدُ سهلةٌ لتطويرِ الجوانبِ الاجتماعيةِ لِمَشَارِيْعِك

(١١) قواعدُ سهلةٌ لإدارةِ الأخطاءِ والإخفاقات

(١٢) قواعدُ سهلةٌ للخروجِ من مشروعك الرِّيادي

يركِّزُ هذا الكتاب على تقديم إجابات سهلة الفهم استُخلِصَت من دراسات متعددة. والنتيجةُ هِيَ ستٌّ وستون قاعدةً سهلةً، تحتوي كُلٌّ منها على العديدِ من القواعدِ الفرعية. تغطِّي هذه القواعدُ السَّهلةُ الرَّحلةَ الرِّياديةَ بالكامل. يبدأ الكتاب بشرحِ القواعدِ السَّهلةِ لاكتشافِ الفرصِ التجاريةِ الجديدة. وهذه القواعدُ تُركِّزُ على مبدأ بدءِ الرِّحلةِ الرِّياديةِ، وتُوضِّحُ كيفَ ينبغي لرائدِ الأعمال التَّفكير في إيجادِ فكرةٍ مبتكرةٍ بصفتها أساسًا للمشروعِ المحتمل.

حوى الكتاب قواعدَ سهلةً لاختيارِ الأسواقِ واتِّخاذِ قراراتٍ تتعلَّقُ بدخولِ السُّوق. وتُقَدِّمُ هذه القواعدُ أساليبَ تساعد على جمعِ المعلوماتِ واتِّخاذِ الإجراءاتِ اللَّازمةِ بناءً على هذه القراراتِ، وتُوضِّحُ أيضًا كيفيةَ التَّقدُّمِ في المشاريع.

وقَدَّمَ الكتاب قواعدَ سهلةً تتضمَّنُ مبادئَ وأدواتٍ سهلةً لاتخاذِ القراراتِ في الظروفِ الرِّيادية النَّموذجية، وهي: عدمُ اليقينِ العالي ونقصُ الموارد. وجزءٌ أساسيٌّ من هذه القواعدِ أيضًا يُوضِّحُ أنَّكَ - مثل الجميع - قد تتعرَّضُ للتحيزاتِ في اتِّخاذِ القراراتِ، لذلك قَدَّم نصائحَ حولَ كيفيةِ تقليلِ هذهِ التحيزاتِ.

وعرضَ كذلك قواعدَ سهلةً للمساعدة في تطويرِ خُطَطٍ وإستراتيجياتٍ تدفع بالمشاريع قدمًا. وتُظهرُ كيفيةَ تحويلِ الأهداف الشَّخصية والتفضيلات إلى خُطَط للمشاريع. وتُخبرُ كيف يمكن جعل المشروع أكثرَ قُوَّةً ومرونةً في مواجهةِ العقباتِ.

وتناولَ فكرة أنَّ ريادةَ الأعمالِ تحدثُ في سياقٍ اجتماعيٍّ، لذا قَدَّم قواعدَ سهلةً لإدارةِ أصحابِ المصلحة. وتتناولُ هذه القواعدُ كيفيةَ التفاعلِ مع الآخَرينَ لتطويرِ الفرص والمشروع. وركَّز على مَنْ يجبُ أنْ تتفاعلَ معهم وكيفَ يجبُ أنْ تتواصلَ وتتعاملَ معهم لضمانِ وصولِكَ إلى المعرفةِ والمواردِ التي تحتاجُهَا لبناءِ مشروعِكَ. ثُمَّ ركَّزَ على مجموعةٍ معينةٍ من الأشخاصِ الذين هُم أساسٌ لتطويرِ المشروعِ: الفريقُ الرِّيادي.

١	
عنوان الإصدار:	الدّليل في أحكام الرّسم الإملائيّ
جهة الإصدار:	المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر
تاريخ النشر:	٢٠٢٥م
نوع الإصدار:	كتاب
تأليف:	الأستاذ الدكتور/ علي كشرود

٢	
عنوان الإصدار:	مرصد حوسبة العربية
جهة الإصدار:	مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
تاريخ النشر:	٢٠٢٥م
نوع الإصدار:	كتاب
تأليف:	مجموعة من الباحثين

٣	
عنوان الإصدار:	مسار مستعرب
جهة الإصدار:	مركز أبوظبي للغة العربية مشروع "كلمة"
تاريخ النشر:	٢٠٢٥م
نوع الإصدار:	كتاب مترجم
تأليف:	آندريه ميكيل
ترجمة:	أبو بكر العيادي

صَدَرَ حَدِيثًا

٤

عنوان الإصدار:	عربيٌّ عبر القرون
جهة الإصدار:	مركز أبوظبي للغة العربية مشروع "كلمة"
تاريخ النشر:	٢٠٢٥م
نوع الإصدار:	كتاب مترجم
تأليف:	آندريه ميكيل
ترجمة:	أبو بكر العيادي

٥

عنوان الإصدار:	معجم المتداول الفصيح في اللهجة الجزائرية
جهة الإصدار:	المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر
تاريخ النشر:	٢٠٢٦م
نوع الإصدار:	معجم
تأليف:	الأستاذ الدكتور/ محمد خليفاتي

٦

عنوان الإصدار:	معجم اللغة المسرحية
جهة الإصدار:	مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
تاريخ النشر:	٢٠٢٦م
نوع الإصدار:	معجم
تأليف:	مجموعة من الباحثين

٧

عنوان الإصدار:	الفن العربي الإسلامي
جهة الإصدار:	مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
تاريخ النشر:	٢٠٢٦م
نوع الإصدار:	كتاب
تأليف:	إدهام محمد حنش

٨

عنوان الإصدار:	الصناعة المعجمية العالمية التجارب، والجهود، والآفاق
جهة الإصدار:	مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
تاريخ النشر:	٢٠٢٦م
نوع الإصدار:	كتاب
تأليف:	مجموعة من الباحثين

٩

عنوان الإصدار:	دليل علماء النفس للمراهقين واستخدام وسائل التواصل الاجتماعيواستخدام وسائل التواصل الاجتماعي
جهة الإصدار:	المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية
تاريخ النشر:	٢٠٢٦م
نوع الإصدار:	كتاب مترجم
تأليف:	بيير كورت
ترجمة:	د. المنتصر بشير الحياري

١٠

عنوان الإصدار:	معجم البيانات والذكاء الاصطناعي
جهة الإصدار:	منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة
تاريخ النشر:	٢٠٢٦م
نوع الإصدار:	معجم
تأليف:	مجموعة من الباحثين

١١

عنوان الإصدار:	الجامع في علم المصطلح: المصطلح في العالم العربي
جهة الإصدار:	مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
تاريخ النشر:	٢٠٢٦م
نوع الإصدار:	كتاب مترجم
تحرير وترجمة:	أحمد الليثي وعبد الرحمن السليمان

١٢

عنوان الإصدار:	الطريق إلى الحياد الصفري
جهة الإصدار:	مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية
تاريخ النشر:	٢٠٢٦م
نوع الإصدار:	كتاب مترجم
تحرير:	أوليفر زيبسه وآخرون
ترجمة:	د. هاجر فهد العسكر

١

١٥ يناير ٢٠٢٦م

مركز أبوظبي للغة العربية

أطلق المكتبة العربية الرقمية على أمازون لتسهيل الوصول إلى أكثر من ٣٨,٠٠٠ كتاب باللغة العربية، من بينها ١,٠٠٠ كتاب من دون تكلفة

٤

٢٨-٢٩ يناير ٢٠٢٦م

المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج العربية

نظم "مؤتمر اللغة العربية الدولي الثامن"

٢

٢٢ يناير ٢٠٢٦م

مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية

نظم برنامج شهر اللغة العربية في المكسيك

٥

٢٨ يناير ٢٠٢٦م

مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية

أطلق مشروع قناة (العربية للعالم) للأطفال؛ بمحتوى مرئي جاذب يُنمّي مهاراتهم اللغوية، ويعرّفهم بالحروف والمفردات

٣

٢٧ يناير ٢٠٢٦م

مكتب تنسيق التعريب

أصدر المعجم الموحد لمصطلحات التعدين (عربي، فرنسي، إنجليزي)

٦

٣٠ يناير ٢٠٢٦م

مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية

أطلق مشروع قناة (العربية للعالم) للكبار

٧

٥ فبراير ٢٠٢٦م

مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية

نظم النسخة الثانية من برنامج (تأهيل خبراء العربية في العالم)

٨

١٦ فبراير ٢٠٢٦م

مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية

أصدر التقرير الثاني من مؤشر (بَلْسَم) لتقييم تقنيات الذكاء الاصطناعي للغة العربية

٩

١٧ فبراير ٢٠٢٦م

مركز أبوظبي للغة العربية

يستثمر ١٠ ملايين كلمة في "بارق"، أول مشروع عربي لتحديد مستويات الانقرائية في النصوص العربية وفق الفئات العمرية للقراء

١٠

٦-١٦ أبريل ٢٠٢٦م

مجمع اللغة العربية بالقاهرة

نظم مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والتسعين

١١

١٦ أبريل ٢٠٢٦م

منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الايسيسكو)

تفتتح مكتبة السلطان قابوس بمقرها في الرباط، في خطوة تعكس حرص المنظمة على ترسيخ حضور المعرفة وتعزيز فضاءاتها الثقافية والعلمية، ودعم البحث العلمي وتيسير الوصول إلى الموارد المعرفية

١٢

٥ أبريل - ١٨ مايو ٢٠٢٦م

مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية

نظم برنامج: (تعليم اللغة العربية لأغراض تواصلية)، في تجربة تعليمية تركّز في التطبيق العملي، ضمن مسار تدريبي يعزّز كفاءة التواصل

مَآبُ الكَلَام

سمية سليمان السليمانية
خبيرة اللغة العربية في المركز

إنَّ الَّذي يُحدِّدُ عالَميَّةَ أيِّ لغةٍ هو عددُ النَّاطقينَ بها، وعددُ الدُّولِ الَّتي تتَّخذُها لغةً رسميَّةً، ومدى تأثيرِ هذه الدُّول اقتصاديًّا وسياسيًّا وثقافيًّا، بالإضافةِ إلى كونِها لغةً رسميَّةً في الأمم المتحدة والمنظَّماتِ التابعةِ لها، وطبيعةِ الرُّتبةِ الَّتي تحتلُّها من حيثُ الاستعمالُ والتَّداولُ في هذه المؤسَّساتِ الدوليَّة.

وتُعَدُّ اللُّغةُ العربيَّةُ أكبرَ لغاتِ المجموعةِ السَّاميَّةِ من حيثُ عددُ المتحدِّثينَ بها، وإحدى أكثرِ اللُّغاتِ انتشارًا في العالم، ويتوزَّعُ متحدِّثوها في المنطقةِ المعروفةِ باسمِ الوطنِ العربي، إضافةً إلى مناطقَ أُخرى في آسيا وإفريقيا وأوروبا. وتشيرُ الإحصاءاتُ الحديثةُ إلى أنَّ عددَ المتحدِّثينَ بالعربيَّةِ يتجاوزُ ٤٢٠ مليونَ نسمةٍ بين متحدِّثٍ أصليٍّ وغيرِ أصليٍّ، فيما تُقدِّرُ بعضُ الدِّراساتِ العددَ بأكثرَ من ٤٦٠ مليونًا حولَ العالم.

وتحتلُّ العربيَّةُ مكانةً متقدِّمةً بين لغاتِ العالم؛ إذ تُعَدُّ من أكثرِ اللُّغاتِ استخدامًا وانتشارًا، وأنَّها إحدى اللُّغاتِ السِّتِّ الرسميَّةِ في منظَّمةِ الأممِ المتَّحدة، إلى جانبِ الإنجليزيَّةِ والفرنسيَّةِ والإسبانيَّةِ والرُّوسيَّةِ والصينيَّة. ويُحتَفى بها عالميًّا في اليومِ العالمي للغةِ العربيةِ في الثامنَ عشرَ من ديسمبر من كلِّ عامٍ الَّذي أقرَّته اليونسكو تقديرًا لمكانتِها الحضاريَّةِ والثقافيَّة.

وتُشيرُ البياناتُ الحديثةُ إلى أنَّ العربيَّةَ لغةٌ رسميَّةٌ في اثنتين وعشرينَ دولةً عضوًا في جامعة الدول العربية، وتتمتَّعُ بوضع رسميٍّ أو خاصٍّ في دول أُخرى مثل تشادَ ومالي وإريتريا وقبرص وإيران. ويُسهمُ هذا الانتشارُ الجغرافيُّ الواسعُ في تعزيزِ حضورِ العربيَّةِ على المستويين السِّياسيِّ والثقافيِّ.

وقد شهدَ القرنُ الحادي والعشرونَ ازديادًا ملحوظًا في عددِ المتكلِّمينَ بالعربيَّةِ في أنحاءِ العالم، وهو ما يعكسُ تنامي الاهتمام بها بوصفها لغةَ ثقافةٍ ودينٍ وحضارة. فالعربيَّةُ ليست لغةَ تواصلٍ فحسب، بل هي أيضًا لغةُ القرآنِ الكريم، ممَّا يدفعُ أكثرَ من مليارٍ وثمانمائةِ مليونِ مسلمٍ إلى تعلُّمها أو الارتباطِ بها دينيًّا وثقافيًّا.

ومع التَّطوُّرِ الرَّقميِّ والتِّقنيِّ، ازدادت أهمِّيَّةُ العربيَّةِ في مجالاتِ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ والتَّرجمةِ الآليَّةِ والتَّعليمِ الإلكترونيِّ ومعالجةِ اللُّغاتِ الطبيعيَّة. وقد بدأتِ الجامعاتُ العالميَّةُ ومراكزُ الأبحاثِ بالتوسُّعِ في برامجِ تعليمِ العربيَّةِ ودراسةِ لهجاتِها المتعدِّدة، وأظهرتِ الدِّراساتُ الحديثةُ اهتمامًا متزايدًا بتطويرِ تقنياتِ التعرُّفِ الصَّوتيِّ ومعالجةِ اللهجاتِ العربيَّةِ رقميًّا.

وقد أصبحَ للمحتوى العربيِّ حضورٌ متنامٍ على شبكةِ الإنترنتِ ووسائلِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ، الأمرُ الَّذي ساعدَ على انتشارِ اللُّغةِ بين الأجيالِ الجديدة، وأسهمَ في تعزيزِ التَّبادلِ الثَّقافيِّ والمعرفيِّ بين الشُّعوب. وتُشيرُ نقاشاتٌ ثقافيَّةٌ واسعةٌ إلى الحاجةِ إلى دعمِ المحتوى العربيِّ الرَّقميِّ وزيادةِ الاستثمارِ في المعرفةِ الإلكترونيَّةِ العربيَّة؛ لأنَّ قوَّةَ أيِّ لغةٍ في العصرِ الحديثِ أصبحت مرتبطةً بحضورِها الرَّقميِّ وتأثيرِها المعرفيِّ.

ولقد أدَّت العربيَّةُ عبرَ تاريخِها دورًا حضاريًّا عظيمًا؛ فقد كانتْ لقرونٍ لغةَ العلومِ والفلسفةِ والطِّبِّ والفلكِ والرِّياضيَّات، وانتقلتْ من خلالها المعارفُ إلى أوروبا إبَّانَ الحضارةِ الإسلاميَّة. ولا تزالُ آثارُ هذا التَّأثيرِ واضحةً في كثيرٍ من المصطلحاتِ العالميَّةِ ذاتِ الأصلِ العربيِّ.

واليومَ تملكُ اللُّغةُ العربيَّةُ فرصةً تاريخيَّةً لتعزيزِ مكانتها العالميَّة، خاصَّةً مع النُّموِّ السُّكَّانيِّ في الدُّولِ العربيَّةِ واتِّساعِ الاهتمامِ العالميِّ بها. وتشيرُ التقديراتُ السُّكَّانيَّةُ الحديثةُ إلى أنَّ عددَ سكَّانِ الدُّولِ العربيَّةِ يتجاوزُ ٤٥٠ مليونَ نسمة، وهو ما يجعلُ العربيَّةَ من أسرعِ اللُّغاتِ نموًّا ديموغرافيًّا في العالم.

وبذلكَ يتأكَّدُ أنَّ زيادةَ عددِ النَّاطقينَ بالعربيَّةِ ليستْ مجرَّدَ زيادةٍ عدديَّة، بل هي دليلٌ واضحٌ على حيويَّةِ هذه اللُّغةِ وقدرتِها على التَّفاعلِ مع العصرِ، والمحافظةِ في الوقتِ نفسِه على هُويَّتِها الحضاريَّةِ والثقافيَّة، ممَّا يجعلُها إحدى اللُّغاتِ العالميَّةِ المؤثِّرةِ في الحاضرِ والمستقبلِ.

ومنَ الجوانبِ المهمَّةِ الَّتي تؤكِّدُ عالميَّةَ اللُّغةِ العربيَّةِ اليومَ دخولُها المتسارعُ إلى مجالاتِ الذكاءِ الاصطناعيِّ والتقنياتِ الحديثةِ. فبعدَ أنْ كانتِ اللُّغاتُ الأوروبيَّةُ تُهيمنُ على البرمجياتِ والتطبيقاتِ الرَّقميَّةِ، بدأتِ الشركاتُ العالميَّةُ الكبرى تُخصِّصُ استثماراتٍ ضخمةً لدعمِ العربيَّةِ في أنظمةِ الترجمةِ الآليَّةِ، والتعرُّفِ الصَّوتيِّ، والمساعداتِ الذكيَّةِ، ومحركاتِ البحثِ، وتحليلِ البياناتِ اللُّغويَّةِ. ويعودُ ذلكَ إلى النُّموِّ الكبيرِ في أعدادِ المستخدمينَ العربِ للإنترنتِ، واتِّساعِ الأسواقِ الرَّقميَّةِ في منطقةِ الشَّرقِ الأوسطِ وشمالِ إفريقيا.

وتُشيرُ تقاريرُ الاتِّحادِ الدوليِّ للاتِّصالاتِ إلى أنَّ نسبةَ استخدامِ الإنترنتِ في الدُّولِ العربيَّةِ شهدتْ ارتفاعًا كبيرًا خلالَ العقدِ الأخيرِ، ممَّا جعلَ المحتوى العربيَّ من أسرعِ أنواعِ المحتوى نموًّا على المنصَّاتِ الرَّقميَّةِ. وأصبحتِ العربيَّةُ من أكثرِ اللُّغاتِ استخدامًا في منصَّاتِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ، خصوصًا بينَ فئةِ الشَّبابِ، وهو ما أسهمَ في انتشارِها خارجَ حدودِ الوطنِ العربيِّ.

ومنَ الحقائقِ الَّتي قد تبدو جديدةً لكثيرٍ من القرَّاءِ أنَّ العربيَّةَ تُصنَّفُ ضمنَ اللُّغاتِ الأكثرِ تأثيرًا اقتصاديًّا في العالمِ؛ لأنَّها ترتبطُ بأسواقٍ استهلاكيَّةٍ ضخمةٍ وموارِدَ اقتصاديَّةٍ مهمَّةٍ، وفي مقدِّمتِها الطَّاقةُ والتِّجارةُ والسِّياحةُ والخدماتُ الماليَّةُ. ولذلكَ أصبحتِ القدرةُ على التحدُّثِ بالعربيَّةِ ميزةً مهنيَّةً مطلوبةً في عددٍ من الشَّركاتِ العالميَّةِ، خاصَّةً في مجالاتِ الدبلوماسيَّةِ، والإعلامِ، والتجارةِ الدُّوليَّةِ، والطَّيرانِ، والأمنِ السِّبرانيِّ.

ولم يعدِ الاهتمامُ بالعربيَّةِ مقتصرًا على البلادِ العربيَّةِ والإسلاميَّةِ فقطْ، بل توسَّعتْ برامجُ تعليمِها في جامعاتٍ عالميَّةٍ مرموقةٍ في أوروبا وأمريكا وآسيا. وتُدرَّسُ العربيَّةُ اليومَ في مئاتِ الجامعاتِ والمعاهدِ حولَ العالمِ، وتُعَدُّ من أكثرِ اللُّغاتِ طلبًا في تخصُّصاتِ الدِّراساتِ الشَّرقيَّةِ والعلاقاتِ الدُّوليَّةِ والتَّاريخِ والأديانِ المقارنةِ. وقد بدأتْ بعضُ الدُّولِ الغربيَّةِ تُدرجُ العربيَّةَ ضمنَ برامجِ التَّعليمِ المدرسيِّ بوصفِها لغةً ذاتَ أهمِّيَّةٍ إستراتيجيَّةٍ في المستقبلِ.

ومنَ الجوانبِ الحضاريَّةِ المهمَّةِ أيضًا أنَّ العربيَّةَ تُعَدُّ من أكثرِ اللُّغاتِ قدرةً على الاشتقاقِ والتَّوليدِ اللُّغويِّ، وهي ميزةٌ تجعلُها قادرةً على مواكبةِ العلومِ الحديثةِ وصياغةِ المصطلحاتِ العلميَّةِ والتقنيَّةِ الجديدةِ. وقد أسهمَ هذا الثراءُ اللُّغويُّ في حفاظِ العربيَّةِ على تماسكِها عبرَ قرونٍ طويلةٍ رغمَ اتِّساعِ رقعتِها الجغرافيَّةِ وتنوُّعِ لهجاتِها.

ويؤكِّدُ عددٌ من الباحثينَ اللِّسانيِّينَ أنَّ العربيَّةَ من اللُّغاتِ القليلةِ الَّتي حافظتْ على نظامِها اللُّغويِّ الأساسيِّ عبرَ مئاتِ السنينَ، فلا يزالُ النَّصُّ العربيُّ القديمُ قابلًا للفهمِ لدى المتلقِّي المعاصرِ بدرجاتٍ كبيرةٍ، بخلافِ كثيرٍ من اللُّغاتِ الَّتي شهدتْ تغيُّراتٍ جذريَّةً في بنيتِها وألفاظِها. وهذهِ الخاصِّيَّةُ تمنحُ العربيَّةَ قوَّةً ثقافيَّةً وهُويَّةً حضاريَّةً متماسكةً.

لقد أسهم انتشارَ العربيَّة في تشكيلِ جسورٍ ثقافيَّةٍ بين الشُّعوبِ، إذ دخلتْ آلافُ الكلماتِ العربيَّة إلى لغاتٍ عالميَّةٍ مختلفةٍ مثل الإسبانيَّةِ والتركيَّةِ والفارسيَّةِ والأورديَّةِ والسواحيليةِ والمالطيَّةِ. وتُظهرُ الدِّراساتُ اللُّغويَّةُ أنَّ تأثيرَ العربيَّةِ في اللُّغاتِ الأخرى يُعَدُّ من أوسعِ التأثيراتِ اللُّغويَّةِ في التَّاريخِ، وهو ما يعكسُ الامتدادَ الحضاريَّ والثقافيَّ للعالمِ العربيِّ والإسلاميِّ عبرَ العصورِ.

ومنَ القضايا الحديثةِ المرتبطةِ بالعربيَّةِ مفهومُ «الأمنِ اللُّغويِّ الرَّقميِّ»، الَّذي يعني حمايةَ حضورِ اللُّغةِ العربيَّةِ في البيئةِ الإلكترونيَّةِ من التَّراجعِ أو التَّهميشِ. فكلَّما ازدادَ المحتوى العربيُّ الرَّصينُ على الإنترنتِ، ازدادتْ قدرةُ العربيَّةِ على المنافسةِ عالميًّا، وأصبحَ حضورُها أقوى في نتائجِ البحثِ والتَّعليمِ الإلكترونيِّ والبرمجياتِ الحديثةِ.

ولذلكَ فإنَّ المحافظةَ على العربيَّةِ اليومَ لا تعني الحفاظَ على التُّراثِ فحسب، بل تعني أيضًا الاستثمارَ في المستقبلِ؛ لأنَّ اللُّغاتِ الَّتي تنجحُ في دخولِ العصرِ الرَّقميِّ بقوَّةٍ هي القادرةُ على البقاءِ والتأثيرِ عالميًّا. ومن هنا تبرزُ أهمِّيَّةُ تشجيعِ القراءةِ والبحثِ العلميِّ والكتابةِ بالعربيَّةِ، ودعمِ صناعةِ المحتوى العربيِّ، وتطويرِ برامجِ تعليمِ العربيَّةِ للنَّاطقينَ بغيرِها.

إنَّ ازديادَ عددِ النَّاطقينَ بالعربيَّةِ اليومَ لا يُمثِّلُ مجرَّدَ نموٍّ سكانيٍّ أو اتِّساعٍ جغرافيٍّ، بل يعكسُ مكانةً حضاريَّةً وثقافيَّةً متجدِّدةً، ويؤكِّدُ أنَّ العربيَّةَ ما تزالُ قادرةً على الحضورِ والتأثيرِ والمنافسةِ في عالمٍ سريعِ التغيُّرِ، لتبقىَ واحدةً من اللُّغاتِ الكبرى الَّتي تُسهمُ في تشكيلِ الوعيِ الإنسانيِّ والثقافةِ العالميَّةِ.

بسم الله الرحمن الرحيم
مجلس التعاون لدول الخليج العربية